أسامة كامل أبو شقرا

كيف أكون مسلمًا

تقديم

د. علي منير حرب

كيف أكون مسلمًا

أسامة كامل أبو شقرا

كيف أكون مسلمًا

تقديم

د. علي منير حرب

كيف أكون مسلما

تأليف: أسامة كامل أبو شقرا

تقديم: د. علي منير حرب

الطبعة الأولى

مونتريال 1447هـ. 2025 م.

ردمك – ISBN 978-1-7387694-5-2

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

يمنع طبع هذا الكتاب أو أي جزء منه بكل الطرق والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والكومبيوتر وغيرها إلا بإذن خطي من المؤلف:

أسامه كامل أبو شقرا

E-mail : clc74oac@gmail.com

المحتوى

التقديم 7
مقدمة المؤلّف 15
اللقاء الأول الدين والإيمان 21
اللقاء الثاني الإيمان بالله 29
اللقاء الثالث الإيمان باليوم الآخر 43
اللقاء الرابع الإيمان بالملائكة 53
اللقاء الخامس الإيمان بالأنبياء والرسل والكتب 65
الإيمان بالأنبياء والرسل 65
الإيمان بالكتب 68
مدى صدق إيمان الإنسان لا يعلمه إلا الله ﷻ 72
اللقاء السادس أمور متعلّقة بالإيمان 75
اللقاء السابع الصلاة 83
اللقاء الثامن الزكاة 97
اللقاء التاسع الصيام 107
اللقاء العاشر 119
الحجُّ والعُمرة 119
أمور متعلقة بالفرائض 124
اللقاء الحادي عشر الجهاد في سبيل الله 129
اللقاء الثاني عشر المُحرّمات والنواهي 145
أولًا: في المأكل 146
ثانيًا: في المشرب: 148

ثالثًا: في المعتقدات الدينية: 151
رابعًا: في أمور الدنيا: 151
خامسًا: المحرم الزواج بهنَّ: 153
اللقاء الثالث عشر الفواحش 157
1 – الزنى: 157
2 – السرقة وقطع يد السارق: 163
3 - القتل: 165
4 - الكذب: 166
«الرجال قوامون على النساء» 168
للذكر مثل حظ الأنثيين؟ 172
تعدد الزوجات 173
«الحجاب الإسلامي»؟ 182
اللقاء الخامس عشر الخاتمة 189
المراجع 203

التقديم

«**كيف تكون مسلمًا؟**»
سؤال قادني إلى وقفة تفكّر طويلة، بقدر ما أثار لديّ التساؤل والدهشة! ...
هل ثمّة حاجة حقًّا لطرح مثل هذا السؤال، والخوض في البحث عن الإجابة عليه، بعد أن عبر الإسلام أربعة عشر قرنًا من عمره الهجري؟

ما خطر ببالي يومًا، أن يُقدم الصديق الباحث «أسامة أبو شقرا»، التنويري الإسلامي الموسوعي، المؤمن بكل جوارحه، على طرح مثل هذه المسألة المدماكية، المتعلّقة بالبنية الأساسية، التي ارتفع عليها الدين الإسلامي، بعد أن خاض غمار القضايا المتعمقّة في شؤون الإسلام، وعالج أبعادها الإيمانية الواسعة، ولم يترك منها شاردة أو واردة، بهدف تنقية هذا الدين، مما داخله من شوائب وتشوّهات، ومسحِ ما أُلصق بجوهره من زيف وتقوّلات وتخرّصات، وعمّر المكتبة الإسلامية بمؤلفاته البحثية الشاملة، من «دليل الموضوعات، إلى المسيح في القرآن، إلى الاقتصاد في القرآن»، ومن دون أن يتردّد باقتحامه الجريء، لطرح أبرز المسائل المثيرة للجدل والنقاش، في كتبه «الجهاد في القرآن، وحوار شيخين في الإسلام، وأحاديث الرسول ﷺ بين الصحيح والمنحول، وصفوة أحاديث الرسول ﷺ»، إضافة إلى سائر كتبه التاريخية والأدبية

والقصصية، التي لم تبتعد ولم تخلُ في أي سطر من سطورها، من منهاجه الإرشادي التوعوي، الهادئ والموضوعي، الهادف أولًا وأخيرًا، إلى إشاعة روح السلام النفسي والاجتماعي.

فماذا كان بعد هذه الوقفة التبصّرية؟

تأملت في ما آلت إليه حال الإسلام والمسلمين اليوم - بعد أكثر من ألف وأربعمائة عام على انبثاق فجر الإسلام والبعثة النبوية المحمدية، من عجز وتفتّت وفتن وتقاتل ومتاجرة باسم الإسلام، بسبب تجاهلهم للمبادئ الرئيسية التي قام عليها هذا الدين الحنيف، وتعلّقهم بالقشور والمزيّفات والأضاليل، وعلى الرغم مما تزدحم به المراكز الدينية والمؤسسات البحثية والمكتبات ودور الإفتاء، من عشرات آلاف المؤلفات والمراجع والبحوث، وكتب التفاسير والأحاديث والتاريخ والقصص...التي لم تترك شأنًا من شؤون الدين الإسلامي وعلومه، عقيدة وشريعة وتعاليم ونظامًا وقانونًا وسلوكًا وأخلاقًا وعلاقات.

ورصدتُ، في جولة خاطفة، ما يسود العالم أجمع، وهو يتجاوز الربع الأول من القرن الحادي والعشرين الميلادي، من اضطرابات في القيم والأخلاق، وتهديم لمفاهيم الحريات والحقوق، وحروب ومآس وكوارث، وما حلّ بأعرق ثقافات وحضارات العالم، التي تعاني احتضارًا وهلاكًا، بعد أن جاهدت لانتشال البشرية من تُرابيّتها وغرائزها الوحشية.

وسرعان ما أدركت، صحة العودة إلى المربع الأول في أصول الكينونة الإسلامية، وإلى تلقين الألفبائية الأولى للغة الإيمان وثقافة الإسلام، وإعادة تجديد الإجابات، المضيئة والهادية، على السؤال الكبير «**كيف تكون مسلمًا؟**»، والرامية إلى إعادة التوازن إلى أركان الإيمان والإسلام معًا، بعد أن تعرّضت إلى تخلخلات جذرية تهدّد بتداعي ما بقي منها صامدًا، من أسس وثوابت.

وكأنني بالباحث يعود بنا إلى نقطة الصفر، وخط البدايات الأول لهذا الحدث الإيماني، الذي بدّل مفهوم الإنسانية بالناس، وأشاد أعظم وأرقى وأكبر حضارات العالم.

وحضرني شاهدان يجيبان تمامًا على صوابية الباحث بالرجوع إلى النبع الأصلي، والدعوة لاعتماده كعبة للمؤمنين جميعًا، وهو كلام الله سبحانه وتعالى، الذي أنزله في قرآنه الكريم: **{وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.}** (فصِّلت 42:41).

يتمثّل الشاهد الأول، في قوله تعالى في سورة الحجرات الآية (14): {قالت الأعراب آمنّا قلْ لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمّا يدخل الإيمان في قلوبكم وأن تطيعوا الله ورسوله لا يلِتْكم من أعمالكم شيئًا إن الله غفور رحيم.}

ولو أنعمنا النظر مليًّا في هذه الآية الكريمة، التي نزلت في بدايات الدعوة الإسلامية، لأخَذَنا الظنّ أنها لا تخاطب أولئك الأعراب من بني أسد فقط، كما جاء في كتب التفاسير، إنما تتوجّه إلى أغلب المسلمين اليوم، الذين يعلنون الانتماء إلى الإسلام، ويصدّقون الله ورسوله، من خارج شفاههم وألسنتهم، وليس من أعماق قلوبهم وعقولهم، إذ إنهم لا يتخلون عن عادات الجاهلية، ولا يتورّعون عن القيام بارتكاب الفواحش والمحرّمات.

ففي هذه الآية تتجلّى معاني الإيمان الصادق النقيّ، الذي يرتقي إلى سدّة العمل فوق مراتب الكلام والإشهار. لأن إعلان اعتناق الإسلام يقتصر على القول، إنما تطبيق مبادئ الإيمان، والتزام الحدود والشروط، والحرص على موجبات التقوى، في السلوك والعلاقات والمعاملات، هي التي تصوغ كيان المؤمن الحقيقي، وحضوره في أسرته ومجتمعه، وهي معيار المكافأة والثواب وحسن الختام.

أما الشاهد الثاني، فهو ما صرّح به الإمام الأزهري المصري، الشيخ «محمد عبده»، في ثمانينيات القرن التاسع عشر، بعد أن قام من منفاه في بيروت، بزيارة فرنسا مرات عديدة، تلبية لرغبة أستاذه «جمال الدين الأفغاني»، وفي أعقاب حضوره لأحد المؤتمرات هناك، حيث قال: «**في الغرب رأيت إسلامًا ولم أجد مسلمين، ولما عدتُ وجدت مسلمين ولم أجد إسلامًا.**»

مما لا شك فيه أن مقولة الإمام «عبده» هذه، تعبّر عن مجموعة من القضايا والمظاهر، منها:

- الفجوة والتناقض بين المبادئ والقيم الإسلامية، وبين سلوكيات وتصرفات بعض المسلمين، خاصة في الغرب، حيث يرى البعض أن قيم الإسلام من عدالة ونظام وقانون، تتجسّد في سلوكيات غير المسلمين، بينما لا يجدونها في سلوكيات بعض المسلمين في الشرق.

- ومنها توجيه النقد، ودعوة المسلمين لمراجعة أسلوب تطبيق تعاليم الإسلام في علاقاتهم وحياتهم اليومية، وإصلاحه بهدف تحقيق قيم الإسلام في الواقع، وليس في الشعارات والمظاهر فحسب.

ومن هنا، يمكننا أن ندرك منهاج الله في خلقه، إذ خصّص أكثر من ثلاثة أرباع السور القرآنية لبيان العقيدة وتقريرها والاحتجاج لها، وضرب الأمثال وعرض القصص لتثبيتها، كما تتحدث عن القيم الدينية والأخلاقية، وهي ما يعرف بالسور المكية، التي نزلت قبل هجرة النبي الكريم ﷺ إلى المدينة. وما تبقى جعله للسور المدنية بعد الهجرة في المدينة المنورة، وتتناول أمور التشريعات والمعاملات والأحكام والحلال والحرام.

وخلاصة القول، فإننا نؤكّد - أمام ما نشهده من انحراف وتراجع عن منهاج الله سبحانه، وعن شيوع الفاحشة والضلالة - حاجتنا الماسّة إلى مثل هذا الخطاب الإرشادي الهادئ

والموضوعي والمعتدل والرصين، وليس بالإكراه والترهيب، من أجل إعادة الروح لهذا الدين الحنيف، الذي أفرغ من محتواه السامي والنبيل، وتحوّل إلى شعارات تحدٍ وفرق وشيع وأحزاب متنافرة ومتناحرة، وأضاع صوت الله في النفوس والعقول والأفئدة.

«كيف تكون مسلمًا؟»

جاء على لسان باحث حصيف، جنّد حياته وفكره وقلمه لخدمة دينه الحنيف، ليس بكونه مسلمًا بالوراثة أو بالهوية، إنما بما هو مسلم مؤمن بالعقل والمنطق ونور الإيمان الذي يفيض من قلبه، وينتشر شلّالًا يضيء سبيل الهداية والرشد.
وهو كتاب في صلب دعوات الباحث «أبو شقرا» الملحّة دومًا، على مبدأ **كيف تكون مؤمنًا**، وكيف نقدّم الإسلام بصورته النقية الهادفة إلى خير الإنسانية وصلاحها، ويكافح من دون هوادة، لرفع كلمة الله، والعودة بنا إلى منابع عهد النبوة الرشيد.
إنها رسالة باحث تجلّى إيمانه في مسيرته الطويلة ومؤلفاته التي تنهل من مبادئ الإيمان الواعي السليم، والانفتاح على كل الرسالات والأنبياء وفلاسفة الحكمة والفضيلة، من دون تعصّب أو تزمّت.

ليس المهم أن تكون مسلما بالإعلان، بل بالعقل وبالقلب، وأن تطبيق الموجبات الدينية، مهما بلغتَ في الحرص عليها، لا تجعلكَ مؤمنًا صحيحًا، إذا لم ترفعك إلى المرتبة الإنسانية،

لتتمكن من ترجمتها في أفعالك وسلوكك وعلاقاتك. فالله سبحانه وتعالى ليس بحاجة لصلاتك وصيامك ومكوثك النهار والليل في المساجد، إنما يدفعك إلى الإيمان، ليرتفع بك إلى المراتب التي كرّمك بها وفضّلك على سائر مخلوقاته.

د. علي منير حرب

آب / أغسطس 2025

مقدمة المؤلّف

يروى أن رجلًا جاء أحد رجال الدين المسلمين يسأله تعريفه بدينه الحنيف، رغبة منه في اعتناقه. وعندما بلغ رجل الدين الكلام عن واجب الوضوء قبل الصلاة، سأله الرجل عن كيفية الوضوء، فأمسك بيده وأخذه إلى غرفة مكتبه، وأشار إلى جزءٍ كبير من مكتبته، قائلًا: إنّ هذه الكتب التي تراها على هذه الرفوف، جميعها تبحث في شؤون الوضوء.

فقال له الرجل: عذرا فقد عدلت عن نيّة اعتناق دينك هذا، فإن كان عليّ أن أقرأ هذه الكتب لأتعلم الوضوء، فلن يكفيني عمري كي أتعلم سائر الفرائض.

ويروى أيضًا، عن أحد شيوخ الدين[1] المتنورين والمتبحرين في دين الإسلام أنّه، إبّان رحلة له إلى الولايات المتحدة الأميركيّة، لبَّى دعوة إحدى الجمعيّات الدينيّة الإسلاميّة لزيارة مركزها. وكان هذا المركز من أكبر وأهمّ المراكز الإسلاميّة في تلك الدولة. وقد كانت زيارته تلك أوّل زيارة له لذلك المركز. وتكريمًا له فقد صحِبه رئيسُ الجمعيّة في جولة على غرفِ وقاعاتِ المركز إلى أن اختُتِمت في المسجد. وهنا لفت نظرَ

[1] منهم من يقول بأنه الشيخ صبحي الصالح، رحمة الله عليه، الذي كان واحدًا من رجالِ الدينِ اللبنانيين الذين قتلوا غدرًا، إبّان الأحداث المؤسفة التي عصفت ببلدهم بدءًا من العام 1975. وقد كان من المتبحرين في العلم، حائزًا دكتوراه في علوم العربيّة، وله ما يزيد عن عشرة مؤلفات، كما كان من المعتدلين والرافضي اقتتال أبناء البلد الواحد لحسابِ الآخرين. وقد اغتيل في العام 1986.

الشيخِ رجلٌ متربّعٌ على الأرض في إحدى الزوايا، وفي يده كتابٌ مُنكَبٌّ على قراءته. فسألَ الشيخُ مضيفَهُ عن ذاك الرجل.

فأجابه قائلا: هو مواطنٌ أميركيٌّ هداهُ الله، واعتنق الإسلام منذ مدّةٍ وجيزةٍ وهو بصدد دراسة ديننا الحنيف.
فقال الشيخُ: بارِكَ الله فيهِ وله. وإنّي أرغبُ في التحدُّثِ إليه، فهل لك أن ترافقني؟

فأجابه: بكلِّ سرور.
ولمّا اقتربا منه بادره الشيخ بالتحيّة، فانتصب الرجلُ على قدميه، على غيرِ عادة الأميركيّين، احترامًا لوقار وهيبة الشيخ، وردَّ التحية. ثم دار بينهما حديثٌ بالإنكليزية هذا تعريبه بتصرُّف، كما وصلَ إلى مسامعي.

قال الشيخ: بارك الله لك يا أخي في ما أقدمتَ عليه. وهل لي أن أسألك بعضَ الأسئلة؟

قال الرجل: بكلِّ سرور.

قال الشيخ: ما اسمك يا أخي، وكيف تعرّفت على دين الإسلام؟

قال الرجل: اسمي جون[1]، وقد جمعتني الزمالة يومًا بأحدهم، وبعد زمَنٍ يسير أصبحنا صديقين. وقد لفتني فيه حسنُ أخلاقِه وسلوكِه وتعامُلِه مع الآخرين. وبعدما تعمّقت صداقتنا عرفت

[1] اسم مستعار.

أنّه على دين الإسلام. فطلبت منه أن يوضحَ لي تعاليم هذا الدين، فأعجبتُ بها وسألته عن كيفيّة اعتناقه. فجاء بي إلى هذا المركز حيث أعلنت إسلامي.

قال الشيخ: بارك الله فيكما، ولكن ما هو عملك في الحياة يا أخي جون؟

قال جون: أنا طبيبٌ متخصِّصٌ في أمراض القلب، وأمارس مهنتي هذه في عيادتي الخاصّة. ولكن هل لي أن أسألك مراجعةَ المسؤولين عن المركز لتقصير مدّة الدراسة كي لا تطولَ مدةُ ابتعادي عن المرضى الذين أتابعهم؟

قال الشيخ: وماذا طلبوا منك؟

قال جون: قالوا بأنَّه يتوجّبُ عليَّ أن أُقفلَ عيادتي وأتفرَّغَ للدراسة نحوًا من تسعة أشهر.

قال الشيخ: اترك هذا الكتاب يا أخي وعدْ فورًا إلى عملك، فالعمل في الإسلام عبادة، وكيف إذا كان في مثل مهنتك الإنسانية هذه؟ ويقول تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾[1]. أما دراسة الدِّين فلتكنْ في أوقاتِ فراغِك، عملا بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ* وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ*﴾[2]، وبقوله: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ

---

[1] المائدة 32.

[2] الشرح 7-8.

وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة 10).

يبدو أن المسؤولِين عن هذا المركز، ورجلَ الدين، في الرواية الأولى، الذي أحبَّ أن يفاخر بعلوم الإسلام، قد نسَوا، أو تناسَوا قوله تعالى: ﴿**يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**﴾ (البقرة 185)، و ﴿**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**﴾ (البقرة 286). كما نسَوا وصية رسوله ﷺ أيضًا، لعامليه إلى اليمن، مُعاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري، قائلًا: «**بشِّرا ولا تنفِّرا ويسِّرا ولا تعسِّرا وتطاوعا ولا تختلفا**». كما نسوا أيضًا، قوله ﷺ: «**إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاّ غَلَبَه**».[1]

لقد كان الأعرابيّ، إبَّان الدعوة، يلتقي النبي ﷺ، أو أحد أصحابه، ويستمع إليه مدة زمنية وجيزة قد لا تزيد، أحيانًا، عن الساعة الواحدة، وإذا به ينطلق بعد ذلك في الصحراء، ليس مسلمًا مؤمنًا فقط، بل أيضًا، داعيًا لدين الإسلام.

والمؤسف أن هناك من يظنّون أنّ ارتداءهم العمامة والجلباب يعطيهم الحقّ في إصدار الفتاوى كلّ على هواه، إما عن جهل أو خدمة لمصالهم أو لمصالح جهاتٍ أجنبية. حمى الله الإسلام والمسلمين من شرّهم.

[1] (أخرجه البخاري).

ولذا، وإكمالًا لما رسمته لنفسي في محاولة لتَبيانِ تعاليم دين الإسلام كما فهمتُها من آيات القرآن الكريم، رأيت من واجبي وضع هذا الكتاب، ليكون تعريفًا مبسطًا بالدين الحنيف.

ولِما لاقاه من الاستحسان، الأسلوب الذي صِغت به كتابي (حوار شيخين في الإسلام)، رأيت أن يكون هذا البحث أيضًا، على شكل حوارٍ تخيلته جرى بين رجل دين مسلمٍ، جليلٍ متبحرٍ عقلاني التفكير، هو الشيخ سالم، وطالبٍ جامعيٍّ، يريد التعرف على دين الإسلام من آيات القرآن الكريم، أسميته «عبد الله».

ولا بدّ لي، قبل الختام، من أن أقدّم أسمى آيات الشكر والامتنان، لصديقي وأخي العزيز ورفيق غربتي وأنيس وحدتي، الدكتور علي حرب، لا لإغنائه كتابي هذا، بتقديم رائع فقط، بل أيضًا بمواكبتي، خطوة خطوة، بتجاوز أشواكٍ اعترضت مسيرتي على دروب صياغة هذا البحث.

وفي الختام أقول: أرجو الله أن يكون في غايتي من عملي هذا نفعٌ «لإخواني المسلمين، ولنظرائي في الخلق».
فاللهمّ إن كنتُ قد أصبتُ فمن نِعمك ورضاك، وإن كنت قد أخطأت فاغفر لي وارحمني، يا غفورٌ ويا أرحمَ الراحمين.

مونتريال

آب / أغسطس 2025 – صفر 1447

أسامة كامل أبو شقرا

اللقاء الأول
الدين والإيمان

في الموعد المتفق عليه هاتفيًّا، وبعد تبادل عبارات التحية والترحيب، اتخذ الشيخ سالم مقعده المعتاد، وقبالته ضيفه، عبد الله، بالقرب من مكتبة تحوي مئات الكتب في منزله البسيط. سأل الشيخ سالمٌ ضيفه عن غايته من طلبه هذا اللقاء.

فقال **عبد الله**: أنا طالبٌ جامعيٌّ، أدرس الفلسفة، ولم يزل أمامي سنة واحدة للتخرج؛ وأرغب في معرفة الإسلام كما بيّنته آيات القرآن الكريم، وكيف يكون الشخص مسلمًا. ولمّا سألت أستاذي في الجامعة، قال لي، إنّك أفضل معينٍ لي في ذلك.

الشيخ سالم: هل تعني أنّك تريد معرفة دين الإسلام، أم الإسلام؟

عبد الله: وما الفرق في ذلك أيها الشيخ الجليل؟

الشيخ سالم: بالتأكيد يا بني، ففي اللغة، الإسْلامُ والاسْتِسْلامُ، الانقياد، لأنه من استسلمتَ لأمره، تكون قد خضعتَ لأمره، وقد أجمع على مثله الكثيرون من الذين كتبوا في تفسير آيات القرآن الكريم. وإنما سُمي المسلم مسلما بخضوع جوارحه لطاعة ربّه. ويقول أحد علماء الدين: «الإسلام في قول الله تعالى (إن الدّين عند الله الإسلام) يراد به الإسلام بالمعنى اللّغوي وهو التّسليم والاعتقاد بأن لهذا الكون بكلّ ما فيه خالقًا ومبدعًا وهو الله الذي أخرجه من ظلمة العدم إلى نور الوجود وإليه المصير. وهذا المعنى تشترك فيه كلّ أتباع الرّسالات السماوية وغيرها ممّن يؤمنون بهذا المعنى. ولا يقصد بالإسلام

هنا المعنى التشريعي الذي يذكره الفقهاء وعلماء الكلام»[1].
وتقول الآية الكريمة: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. (البقرة 112). فاليهودي، الذي آمن برسالة النبيّ موسى، (ﷺ)، والمسيحي، الذي آمن برسالة النبي عيسى، (ﷺ)، هما مسلمان. أمّا من آمن برسالة محمد ﷺ، فهو على دين الإسلام. وفي القرآن الكريم آياتٌ عديدةٌ تدلُّ على أنّ صفة (مسلم) ليست حكرًا على من هم على دين الإسلام؛ كما في قوله: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة 133)، ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ (المائدة 111). ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (آل عمران 67).
ولكن صفة «مسلم» فقد أصبحت، عرفًا خاصا بمن هم على دين الإسلام، كما أشرت آنفًا، من قوله تعالى، ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة 3)

[1] (ص 48؛53) من كتاب، زبدة التفكير في رفض السب والتكفير، للعلامّة السيد علي الأمين.

عبد الله: شكرًا على التوضيح، وعليه يكون طلبي عن دين الإسلام.

الشيخ سالم: لا بأس عليك. فلنبدأ أولًا، بتعريف الدين، بعامة. فهو في رأيي مجموعةٌ:

- من المعتقدات، على مُعتنقِه الإيمانُ بها مجتمعةً غير مُجزّأة، إيمانًا صادقًا، نابعًا من أعماق نفسهِ، راسخًا لا تهُزُّهُ نعمةٌ طرأتْ أو مصيبةٌ حلَّتْ، مهما صغرت أو عظُمت.
- ومن التعاليمِ والواجباتِ لتنظيمِ علاقة الأنسان كعابدٍ بمعبودهِ.
- ومن قواعد أخلاقية تحكُمُ سلوكَه في معيشته وتنظّم علاقته بنظرائه في المجتمع وفي الإنسانيّة جمعاء، سواء كانوا على دينه أم لا، ومع الطبيعة وما فيها. وصولًا إلى قيامِ المجتمعات الصّالحة. فغايةُ الدّين صلاح وإصلاحُ المجتمعات.

فهل لديك أي تعليقٍ أو سؤالٍ عن هذا التعريف؟

عبد الله: بل هو تعريفٌ موجز واضح وشامل.

الشيخ سالم: حسنٌ. وهل سبق لك أن انتسبت إلى أحد الأحزاب السياسية؟ أو اطلعت على نظامه الأساسي ودستوره؟

عبد الله: أجل، لقد اطلعت على كتب أحدها.

الشيخ سالم: جيد. فلتبسيط الأمر يمكننا تشبيه نظام الدين بنظام الحزب السياسي. فكما أنّ لكل حزب مبادئَه، التي تكون أساسًا

لعقيدة، يجب أن يقتنع بها من أراد أن يكون فيما بعد أحد أعضائه، كذلك لكل دين معتقدات، كما أسلفنا، يجب على معتنقه الإيمانُ القاطع بها. وتسمى هذه المعتقدات في دين الإسلام: أركان الإيمان، وهي خمسة: الإيمان بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر. وهي كلٌّ لا يتجزأ. والإيمان بالله والملائكة مشترك بين الأديان التوحيدية. فاسم الله تعالى في اللغة العربية يقابله في العبرية (إيل) أو (إيلوه) وفي الآرامية (إلوي)، وهو قريب من لفظ الجلالة (الله)، مما يوحي أنه مشتق من اللفظ العربي (الله). أما الإيمان بالرسل والكتب واليوم الآخر، فهو خاص بدين الإسلام، إذ كما جعل اللهُ النبيَّ محمدًا ﷺ خاتم أنبيائه ورُسُله، فقد جعل رسالتَه أيضًا، متمِّمة رسالاته وخاتمتها.

وكما يتوجب على كل عضوٍ في الحزب، القيام بواجبات يحدّدها نظام ذلك الحزب، فإنّه يتوجب على المسلم أيضًا واجبات أربع تسمَّى أو فرائض: هي الصلاة والصيام والزكاة والحجّ إلى البيت الحرام، إن استطاع إليه سبيلًا. بالإضافة إلى واجب الجهاد في سبيل الله. وسيكون لنا جلسات خاصة لتوضيح هذه الواجبات فيما بعد.

وكما نرى في الأحزاب أعضاء فاعلين يقومون بكامل واجباتهم الحزبية، وآخرين اكتفوا بالإيمان بمبادئ الحزب، ففي الأديان أيضًا مؤمنون ملتزمون بالقيام بفرائض دينهم كليًا أو جزئيًّا، وآخرون اكتفوا بالإيمانيات. والله تعالى يفصل بينهم يوم الحساب.

هذا بالإضافة إلى قواعد سلوكية على المسلم أن يلتزم بها في الدين والدنيا. كأن يمتنع عن إتيان المحرمات والنواهي، وأن يعمل صالحًا، وأن يتحلّى بالصفات الحسنة والأخلاق الحميدة، وأولها وأهمها، الصدق وحفظ العهد والأمانة. ومن تلك التشريعات أيضًا ما يشكل أسسًا لبعض القوانين الدستورية والمدنية.

ولكنّ من أراد اعتناق دين الإسلام، فلا يتوجب عليه، كما الحال في الأحزاب أن يُقسم يمين الولاء، إنما عليه فقط أن ينطق بالشهادتين فيقول: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسولُ الله»، وفي حال إنكاره لهما، أو لأيٍّ منهما، فيكون قد أنكر انتماءه للدين. أمّا صدق إيمانه فيعود العلم به لله تعالى وحده، الذي يطلع على الأفئدة ويعلم ما في الصدور. ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (ق 16).

عبد الله: إيجازٌ رائع، ولكني أتساءل، فبما أن النبي محمدًا ﷺ هو خاتم الأنبياء والرسل، وأنّ رسالته متممة الرسالات السماوية التي سبقته، وخاتمتها، أفلم يكن من الأجدى أن يوحّد هذه الرسالات وتعاليمها في دينٍ واحد؟

الشيخ سالم: الرسول الأمين، يا عزيزي، عليه القيام بإبلاغ الرسالة بكل دقة وأمانة وأن يلتزم بكل تعاليمها، والجواب على سؤالك هذا جاء في قوله تعالى: **﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا**

آَتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾، (المائدة 48).

كما أنّ من القواعد الأساسية في الإسلام احترام وضمان حرية المعتقد، مع التأكيد على عدم إكراه الناس على اعتناقه، كما في قوله تعالى: **﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾**، (البقرة 256). وقد يكون النبي ﷺ قد لاحت في خاطره فكرة العمل على فرض عقيدة الإسلام بالإكراه، فإذا بالله ﷻ، يخاطبه بلهجة التأنيب، قائلا: **﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآَمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾**، (يونس 99).

عبد الله: شكرًا سيدي الجليل، أفهم من هذا أن حرية المعتقد قد كفلها الإسلام قبل الشرعة الدولية لحقوق الإنسان، بما يناهز الأربعة عشر قرنًا. يا له من دين. وهذا ما يزيدني تشوقًا لسماع المزيد من إيضاح وتفصيل معتقداته وشرائعه.

الشيخ سالم: حسنًا، ولكن، وبما أن تعارفنا استغرق بعض الوقت في لقائنا الأول هذا، فسنكتفي اليوم بتبيان مفهومي للإيمان.

في اللغة، «الإيمانُ مصدر آمَنَ يُؤْمِنُ إيمانًا، فهو مُؤْمِنٌ. والإيمانُ ضدُّ الكفر. والإيمان بمعنى التصديق، ضدُّه التكذيب. يقال: آمَنَ به قومٌ وكذَّب به قومٌ، وحدَّد الزجاجُ الإيمانَ فقال :الإيمانُ إظهارُ الخضوع والقبولِ للشَّريعة، واعتقادُه وتصديقُه بالقلب.»[1]

[1] لسان العرب لابن منظور.

فالإيمان ليس مجرد كلمات نتفوه بها أو نردّدها، أو فرائض نؤديها، من دون أن تكون نابعة من اقتناع العقل والقلب بها، اقتناعًا تامًا لا لَبس فيه، يظهر جليًا في أعمالنا وسلوكنا وأخلاقنا وتعاملنا مع الآخرين، من غير تفرقة بينهم، في الدين، أو الجنس، أو العرق، أو اللون.

وقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات 13).

وعن النبي ﷺ أنه قال: «لا فَضلَ لعَرَبيٍّ على عَجَمِيٍّ، ولا لعَجَمِيٍّ على عَرَبيٍّ، ولا أَسْوَدَ على أَحْمَرَ، ولا أَحْمَرَ على أَسْوَدَ إلاَّ بالتَّقْوى»[1].

ويقول أحد الحكماء: «لا تحدثني كثيرًا عن الدين، بل دعني أرى الدين في أخلاقك وسلوكك وتعاملك.»

عبد الله: سيدي الكريم، كم من الوقت، حسب تقديرك، تراه كافيًا لي ليصبح لدي فهم كافٍ لتعاليم وشرائع دين الإسلام؟

الشيخ سالم: أظنُّ أنّ من الصعب تحديده. فهو يعود لمدى رغبتك في التوسع في تفاصيل ودقائق كلٍّ منها، وفي أسئلتك، وما تتطلبه من الأجوبة. بالإضافة إلى الأوقات التي يسمح لك بها واجب دراستك في الجامعة.

[1] مسند الإمام أحمد.

عبد الله: أفهم من كلامك، أننا سنحتاج إلى عدد لا بأس به من اللقاءات.

الشيخ سالم: أجل هذا ما قصدت.

عبد الله: لا سقف عندي لعدد اللقاءات معك، لما فيها من متعة الاستماع إلى الشرح والتوضيح بما قلَّ ودلّ. هذا إن لم يكن في ذلك إزعاج، أو إضاعة لوقتك.

الشيخ سالم: على العكس يا بني فهذا من صميم واجباتي ودواعي سروري، وبخاصة مع شابٍ مثلك راغبٍ في العلم والمعرفة. ومن علامات ذلك أنني رأيت جدّيّة اهتمامك بأنك كنت تسجل ملاحظات عما كنتُ أتفوه به. فهل يناسبك أن نجعلها لقاءات أسبوعية، لنحو الساعة أو الساعتين لكل منها؟

عبد الله: بل مع جزيل الشكر والامتنان.

الشيخ سالم: حسنٌ. إذًا موعدنا القادم، هنا في الأسبوع المقبل، وفي مثل هذا الوقت.

عبد الله: يسعدني ذلك جدًّا، وسأنتظره بفارغ الصبر.

اللقاء الثاني
الإيمان بالله

في الموعد المتفق عليه، وصل عبد الله إلى منزل الشيخ سالم. وبعد تبادل السلام بادر بالقول: لقد كان لقاؤنا السابق ممتعًا ومفيدًا جدًّا، ولم يغبْ عن خاطري ذلك التوصيف الذي أوجزتَه لتعاليم دين الإسلام. وأنا اليوم بشوقٍ لأسمع شرح أركانه.

الشيخ سالم: لقد قلنا في اللقاء السابق، بأنّ على المسلم، أو من أراد اعتناق الإسلام، أن يؤمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والأنبياء والمرسلين؛ على الرّغم مما فيها من الغيبيات، وهي تشكل وحدة موحدة لا تتجزأ. بمعنى أنّ من لا يؤمن بواحدة منها يكون إيمانه ناقصًا وغير سليم. وتقول الآية الكريمة: ﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**﴾ (البقرة 3). و«الغَيْبُ: كلُّ ما غاب عنك.

[قال] أَبو إِسحق في قوله تعالى: يؤمنون بالغَيْبِ؛ أَي يؤمنون بما غابَ عنهم، مما أَخبرهم به النبـيُّ، ﷺ، من أَمرِ البَعْثِ والجنةِ والنار. وكلُّ ما غابَ عنهم مما أَنبأَهم به، فهو غَيْبٌ؛ وقال ابن الأَعرابي: يؤمنون بالله. قال: والغَيْبُ أَيضًا ما غابَ عن العُيونِ، وإِن كان مُحَصَّلًا في القلوب»[1].

وقد ذُكرت أركان الإيمان في آياتٍ عديدة من القرآن الكريم، نكتفي منها بما جاء في الآيتين التاليتين: **الأولى**: ﴿**وَلَـكِنَّ الْبِرَّ**

[1] لسان العرب لابن منظور.

مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ (البقرة 177). **والثانية: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلًا بَعِيدًا﴾** (النساء 136).

عبد الله: أنا لا أنكر وجود الله، لأنّني مقتنعٌ بأنّه لا بدَّ من وجود خالق لهذا الكون. ولا بُدَّ لأي كائنٍ حيٍّ أو جمادٍ، من مسبب لوجوده. كما أن مقولة، أنّ هذا الكون وجد بالصدفة، فإنّي أراها عقيمة ولا يقبلها العقل. ألا يكفي هذا؟

الشيخ سالم: بالتأكيد يا بني، هذا مهمٌ جدًّا، بل هو الأساس في أول أركان الدين، أي الإيمان بالله. ولكن فإلى جانب الإيمان القاطع، الذي لا لَبس فيه، بأنّ لهذا الكون إلهًا هو الله ﷻ، الذي لا يعلم أحدٌ ماهيته، ولم يره أحدٌ، بمن فيهم الأنبياء والمرسلون؛ فيقتضي علينا أيضًا أن نؤمن بما ذكره القرآن الكريم من صفاته، والتي سماها «أسماؤه الحسنى»، وقد يفوق عددُها المائة، على الرغم من أنّ غير واحد من الفقهاء قد أحصوها بتسعة وتسعين اسمًا؛ أذكر منها التالي:

<u>الله واحدٌ أحد، لم يلد ولم يولد،</u>

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ* اللَّهُ الصَّمَدُ* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ* وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ*} (الإخلاص 1-4). ففي قوله: **﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾** فلأنّ «أحد» تختلف عن «واحد»، بأنّ الواحد يمكن أن يُجزّأ إلى نصفين أو أثلاث أو أرباع، إلخ... بينما الأحد لا يُجزّأ. وفي هذا يقول ابن منظور، في معجمه (لسان العرب): من «أَسماءِ

الله تعالى: الأَحد وهو الفرد الذي لم يزل وحده ولم يكن معه آخر، وهو اسم بني لِنَفْيِ ما يذكر معه من العدد، تقول: ما جاءَني أَحد، والهمزة بدل من الواو وأَصله وَحَدٌ لأَنه من الوَحْدة.» وبما أنّه هو الذي خلق الأكوان بمن وما عليها وفيها، فلا يمكن أن يكون مولودًا، أو أن يكون له مثيل. كذلك ينفي القرآن الكريم أن يكون لله ﷻ ولدٌ، في آياتٍ عديدة منها: ﴿**مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾. (مريم 35) - ﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ**﴾ (البقرة 116) - ﴿**قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ (يونس 68) - ﴿**بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (101) ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (102) لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ (الأنعام 103).

<u>الرحمن الرحيم،</u>

في معجم لسان العرب «الرَّحْمة: الرِّقَّةُ والتَّعَطُّفُ والمغفرة. والله الرَّحْمَنُ الرحيم: بنيت الصفة الأُولى على فَعْلانَ لأَن معناه الكثرة، وذلك لأَن رحمته وسِعَتْ كل شيء وهو أَرْحَمُ الراحمين، فأَما الرَّحِيمُ فإِنما ذكر

بعد الرَّحْمن لأَن الرَّحْمن مقصور على الله عز وجل.» وفاتحة القرآن الكريم، التي يرددها المصلي في أول كل ركعة صلاة، تبدأ ب: ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ* الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ* الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ***﴾ (الفاتحة 1 - 3). كما نلاحظ، أنّ في أول عشر كلمات منها، قد وردت عبارة (الرحمن الرحيم) مرتين. و«الرَّحْمن والرَّحيم اسمان مشتقان من الرَّحْمة... والرَّحْمَةُ في بني آدم عند العرب: رِقَّةُ القلب وعطفه. ورَحْمَةُ الله: عَطْفُه وإحسانه ورزقه.»[1] والمصلّي يقرأ الفاتحة، في أول كلِّ رَكعة من صلواته. كما أنّ من عادة المسلم أن يبدأ دومًا كلَّ ما يقوم به بعبارة: ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾.

عبد الله: عذرًا أيها الشيخ الجليل، ما الفرق بين الرحمن والرحيم؟ أليسا مشتقين من الرحمة؟ ولماذا يقرنان دومًا؟

الشيخ سالم: يقول ابن منظور في معجمه (لسان العرب): «فأَما الرَّحِيمُ فإنما ذكر بعد الرَّحْمن لأن الرَّحْمن مقصور على الله عز وجل، والرحيم قد يكون لغيره؛ قال الفارسي: إنما قيل بسم الله الرَّحْمن الرحيم فجيء بالرحيم بعد استغراق[2] الرَّحْمنِ معنى الرحْمَة لتخصيص المؤمنين به في قوله تعالى: {وكان بالمؤمنين رَحِيمًا}».

وإني أرى في ذلك زيادة في التأكيد والتشديد على سعة رحمة الله لعباده. ويعزز رأيي هذا قوله ﷻ: ﴿**كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ**

1 لسان العرب.

2 استغراق، استيعاب. (لسان العرب)

الرَّحْمَةَ﴾، (الأنعام 12)، **﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾**. (الأعراف 156)، **﴿فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾**. (الأنعام 147).

خالق كل شيء،

«الخَلْقُ في كلام العرب: ابتِداع الشيء على مِثال لم يُسبق إِليه: وكل شيء خلَقه الله فهو مُبْتَدِئه على غير مثال سُبق إِليه.»[1]

وبما أنّ ما من شيء يُخلقُ بنفسه من العدم، بل هناك دومًا مسبّبٌ لوجوده، فعلى المسلم أن يؤمن بأنّ الله تعالى، هو الذي خلق هذا الكون، بكل ما فيه من نجوم وكواكب، وكائنات حية ونباتات وأشجار وجماد وبحار وهواء وغيرها... وقد بينت ذلك آيات عديدة من القرآن الكريم، أكتفي منها بالتاليات:

﴿ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (الأنعام 102) - **﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾** (السجدة 4) - **﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ*} (الحديد 4).** مع الإشارة إلى

1 لسان العرب.

أن اليوم عند الله تعالى ليس كيومنا نحن بني البشر، ﴿**وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ**﴾ (الحج 47).

كما أن عملية الخلق لم تنتهِ، كما في قوله تعالى: ﴿**وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ (النحل 8). ﴿**... يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ (فاطر 1).

كذلك فإن شاء، وكما بدأ الخلق، يعيده: ﴿**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ**﴾ (الأنبياء 104) - ﴿**إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ**﴾ (يونس 4) - ﴿**قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ**﴾ (يونس 34).

عبد الله: سيدي الكريم، هل لك أن توضح لي كيف أنّه ﷻ، ﴿**خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ**﴾؟

الشيخ سالم: كيف تمت عملية الخلق، أمرٌ يسعى الإنسان إلى معرفته منذ زمنٍ بعيد. وعلى الرّغم مما نشهده في عصرنا هذا، من التقنيات وآلات الرصد الفلكي، ومما توصل إليه العلم والعلماء، فإنّي أرى أنّ من المستحيل عليهم الإجابةَ على سؤالك هذا ما لم يسمح الله ﷻ بذلك كما في قوله: ﴿**وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ**

مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ (البقرة 255). أمّا إن كان سؤالك عن «الستة أيام»، فاليوم عند الله، كم أسلفتُ، ليس كاليوم الذي نعرفه نحن جرّاء دوران الأرض حول الشمس، وقد أشارت إلى مقدار اليوم عند الله، الآية: ﴿**وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾** (الحج 47)، والآية ﴿**تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾** (المعارج 4)؛ فإنني أرى أن هذين الرقمين ليسا بمثابة تحديدٍ حسابيٍّ لمقدار اليوم عنده تعالى، بقدر ما هما للتكثير. ما يجعلني أقول، بأنّ علمه عند الله، إلى أن يشاء لنا العلم به.

واضع سنن وقوانين الكون، وحافظه، ومدبّر شؤونه

من يُنعم النظر في دقائق حراك هذه الأرض وما فيها وما عليها من المخلوقات الحيّة وغيرها، وما في السماوات من النجوم والكواكب، يتحقق من أن الخالق ﷻ قد وضع لهذا الكون ولكلّ شيء، فيه أو عليه، بداية ونهاية ومسارًا، وأنظمة وقوانين كاملة الدقة، لا يمكن لأحد هذه المخلوقات، أن يحيد عنها، إلّا بمشيئته وإرادته وقدرته عز وجل. وقد بينت لنا ذلك عدةُ آياتٍ من القرآن الكريم، أذكر منها:

﴿**يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾** (السجدة 5)،

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (البقرة 117) - ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (النحل 40) - ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (البقرة 255) - ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ (16) وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ (الحجر 17).

<u>قديم لا أول له، باقٍ لا آخر له،</u>

بما أن الله تعالى هو خالق هذه الأكوان، فهذا يعني أنه كان موجودًا قبل خلقها. وبما أنّ لا أحد يعرف ماهيته جلّ وعلا، ولا متى حصل هذا الخلق، ولا متى ستكون نهاية هذه الأكوان التي يُدبّرُ أمورها، فهذا ما يؤكد بأنّه ﷻ، قديم لا أول له، وباقٍ لا آخر له. كما في قوله: ﴿**هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (الحديد 3).**

<u>يحيي ويميت،</u>

والله الخالق، هو الذي بيده منح الحياة لمخلوقاته، وتحديد أعمارها ولحظات موتها: - ﴿**وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ**

الْوَارِثُونَ﴾ (الحِجر 23) - **﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾** (الأعراف 34).

عالم لا يخفى عن علمه شيء، وعلّام الغيوب،

كي يتمكن ربِّ العملِ من حسن إدارة مؤسسته عليه أن يعرف جيدًا مدى ومستوى إنتاجية كلٍّ من العاملين فيها. فالله تعالى الذي خلق ما في السماوات والأرض وجعل بني البشر خلفاء في هذه الأرض، فلا بد من أن يكون قد صمّم أجسادنا بما يجعله عالمًا، وفي أي لحظة ما، بأدقّ تفاصيل ما يقوم به كلٌّ من مخلوقاته، بما فيها ما تخبّئ صدور كلٍّ منّا نحن البشر. فإذا كنّا لا نراه، فهو يرانا. وفي القرآن الكريم عدد من الآيات التي تعلمنا بذلك، منها: **﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَخْفَىَ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ﴾** (آل عِمران 5) - **﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾** (الحديد 4) - **﴿قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** (آل عمران 29) - **﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾** (ق 16) - **﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾** (المائدة 116).

عادل لا تقاس عدالته بعدالة البشر،

في اللغة «العَدْل: ضِدُّ الجَوْر. وعَدَل الحاكِمُ في الحكم يَعْدِلُ عَدْلًا وهو عادِلٌ. والعَدْل، من أَسماء الله سبحانه: وهو الذي لا يَمِيلُ به الهوى فيَجورَ في الحكم، وهو في الأَصل مصدر سُمِّي به فوُضِعَ مَوْضِعَ العادِلِ، وهو أَبلغ منه لأَنه جُعِلَ المُسَمَّى نفسُه عَدْلًا. وأصل الظُّلم الجَوْرُ ومُجاوَزَة الحدِّ، ومنع الحقّ عن صاحبه.»[1] وفي القرآن الكريم: ﴿**إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ (النساء 40) - ﴿**إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَـكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾ (يونس 44) - ﴿**وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**﴾ (الكهف 49).

رب العالمين ومالك كل شيء:

ما دام الله ﷻ هو الذي خلق هذا الكون بما عليه وما فيه، فهو بالتالي ربّه ومالكه. «الرَّبُّ: هو الله عزّ وجل، هو رَبُّ كلِّ شيءٍ أَي مالكُه، ويقال: فلانٌ رَبُّ هذا الشيءِ أَي مِلْكُه له.»[2] وقد كررت عبارة «**رب العالمين**» في القرآن الكريم عشرات المرّات، أكتفي ببعضها: ﴿**الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ (الفاتحة 1) - ﴿**قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ (الشعراء 47) - ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ (الأنعام

[1] لسان العرب.
[2] لسان العرب.

162) - ﴿**تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ (السجدة 2).

كذلك عبارة، «**له ما في السماوات وما في الأرض**» كُررت في القرآن الكريم أيضًا مرات عديدة، كما في قوله تعالى: ﴿**لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ**﴾ (البقرة 255) - ﴿**لِّلَّهِ ما فِي السَّمَاواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ**﴾ (البقرة 284).

<u>فعّالٌ لما يريد قادر ولا حدود لقدرته</u>،

ومالك الشيء يفعل فيه ما يريد، والله تعالى، قادر على كل شيء، كما في قوله في الآيات التاليات: ﴿**فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ**﴾ (البروج 16) - ﴿**لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ (الحديد 2) - ﴿**بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾ (البقرة 117) - ﴿**إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ (البقرة 109)، ﴿**وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ (البقرة 284).

عبد الله: سيدي الكريم، لقد ذكرت أن عدد أسماء الله الحسنى، قد يفوق المائة؛ ولكنك اكتفيت بذكر وتوضيح بعضها. فهل يعني هذا أنّ ما ذكرته منها هو أهمها؟

الشيخ سالم: بالتأكيد لا يا عزيزي، ولكنّي رأيت أنّ ما ذكرتُ منها، قد يكفي لتوضيح المقصود بالإيمان بالله ﷻ. وهي كما جمعها البيهقي كما يلي: «إنَّ لِلَّهِ تسعةً وتسعين اسمًا، مِائَةً غيرَ

واحدةٍ، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ، وهو وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرَ، هو اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلهَ إلا هوَ الرحمنُ، الرحيمُ، المَلِكُ، القُدُّوسُ، السَّلاَمُ، المُؤْمِنُ، المُهَيْمِنُ، العَزِيزُ، الجَبَّارُ، المُتَكَبِّرُ، الخالقُ، البَارِئُ، المُصَوِّرُ، الغَفَّارُ، القَهَّارُ، الوَهَّابُ، الرَّزَاقُ، الفَتَّاحُ، العَلِيمُ، القَابِضُ، البَاسِطُ، الخَافِضُ، الرَّافِعُ، المُعِزُّ، المُذِلُّ، السَّمِيعُ، البَصِيْرُ، الحَكَمُ، العَدْلُ، اللَّطِيفُ، الخَبِيرُ، الحَلِيمُ، العَظِيمُ، الغَفُورُ، الشَّكُورُ، العَلِيُّ، الكَبِيرُ، الحَفِيظُ، المُقِيتُ، الحَسِيبُ، الجَلِيلُ، الكَرِيمُ، الرَّقِيبُ، المُجِيبُ، الوَاسِعُ، الحَكِيمُ، الوَدُودُ، المَجِيدُ، البَاعِثُ، الشَّهِيدُ، الحَقُّ، الوَكِيلُ، القَوِيُّ، المَتِينُ، الوَلِيُّ، الحَمِيدُ، المُحْصِي، المُبْدِئُ، المُعِيدُ، المُحْيِي، المُمِيتُ، الحَيُّ، القَيُّومُ، الوَاجِدُ، المَاجِدُ، الوَاحِدُ، الصَّمَدُ، القَادِرُ، المُقْتَدِرُ، المُقَدِّمُ، المُؤخِّرُ، الأَوَّلُ، الآخِرُ، الظَّاهِرُ، البَاطِنُ، الوَالِي، المُتَعَالِي، البَرُّ، التَّوَّابُ، المُنْتَقِمُ، العَفُوُّ، الرَّؤوفُ، مَالِكُ المُلْكِ، ذُو الجَلاَلِ والإِكْرَامِ، المُقْسِطُ، الجَامِعُ، الغَنِيُّ، المُغْنِي، المَانِعُ، الضَّارُّ، النَّافِعُ، النُّورُ، الهَادِي، البَدِيعُ، البَاقِي، الوارثُ، الرشيدُ، الصبورُ». (سنن البيهقي الكبرى 20244).

عبد الله: سيدي الكريم، ألا يشكل هذا العدد من الأسماء لله تعالى، بعض الإشكال على الاعتقاد وبوحدانيته ﷻ؟

الشيخ سالم: سؤال مهم يا عزيزي، ولكن معنى أسماء هنا، هو صفات، كما أسلفت. مع الإشارة إلى أنّ الإسلام هو الوحيد من بين الأديان التوحيدية الذي وضّح بهذه الأسماء كثيرًا من صفات الله، عزّ وجلّ. وأولها وحدانيته.

عبد الله: شكرًا، ولكن لدي سؤالٌ آخر. لقد ذكرتَ بأن عدالة الله لا تقاس بعدالة البشر. أليس مفهوم العدالة واحدًا؟

الشيخ سالم: بالتأكيد، هو واحدٌ. ولكن الفرق يكمن في مدى إدراك العقل الإنساني لعدله تعالى. فهل يتساوى، في نظرك، إدراك الطفل، مثلًا، بإدراك والده؟ أو إدراك الجاهل بإدراك العالم؟ وتقول الآية الكريمة: ﴿**وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ (البقرة 216).

عبد الله: شكرًا، فهذا جوابٌ مقنعٌ.

الشيخ سالم: الحمد لله. وفي اللقاء القادم، يا عزيزي، سنكمل كلامنا في موضوع الفرائض.

عبد الله: حسنًا، وإلى اللقاء في الأسبوع القادم.

اللقاء الثالث
الإيمان باليوم الآخر

في الموعد المعتاد، كان عبد الله يقرع باب الشيخ سالم. وبعدما تبادلا السلام والتحية، واتخذ كلٌّ منهما مقعده، بادر عبد الله بالقول: لقد أنهيتَ، أيها الشيخ الجليل، في اللقاء السابق، تَبيان أول أركان الإيمان في الإسلام، أعني الإيمان بالله. فماذا ستوضح لي اليوم من سائرها؟

الشيخ سالم: سنتحدثُ عن الإيمان باليوم الآخر. وإن بقي لدينا متسعٌ من الوقت، فسنبحث في ما تبقى من تلك الأركان.

عبد الله: كُلّي آذانٌ صاغية.

الشيخ سالم: حسنًا. ولكن في البدء، لا بدّ لي من القول، يا عزيزي، بأنّ التأثير العظيم للوعد بالحساب يوم القيامة، وللثواب والعقاب في نتيجته، على سلوك بني البشر في الحياة الدنيا، خشية من العقاب أو رغبة في الثواب، كان في رأيي السبب الأول في كثرة عدد آيات القرآن الكريم، التي تطرقت إلى هذه الأمور. ولذا سأكتفي في حديثي عن كلٍّ منها بالاستشهاد بآية واحدة أو اثنتين. وفي حال رغبت أنت في التوسع أكثر، فأنا على استعداد لأزودك بما تحتاج، إن شاء الله. الإيمان باليوم الآخر، يا عبد الله، هو أن نؤمن إيمانًا صادقًا، بأنّ حياتنا على هذه الأرض، هي الحياة الأولى، أو الحياة الدنيا، وأنّ بعدها حياة خالدة، هي الحياة الآخرة، يحدّد بدايتها الله ﷻ بيوم القيامة، أو البعث، فتُحاسب كل نفس بما عملت في حياتها الأولى، ويكافأ من عمل الصالحات، ومن زادت صالحاته عن

سيئاته، ويدخل الجنة، حيث يعيش إلى الأبد حياة هنيئة، ويُعاقب مَنْ عمل السيئات، أو من زادت سيئاته عن صالحاته، ويخلد في جهنم إلى ما شاء الله. أمّا من تساوت صالحاتهم وسيئاتهم، فهم على الأعراف.

عبد الله: عذرًا، أيها الشيخ الجليل، إنّي لم أسمع يومًا بهذه (الأعراف)، فما هي؟ وأين هي؟

الشيخ سالم: أمام تعجّلك هذا يا عبد الله، فسأبدأ بالإجابة على سؤالك هذا قبل الكلام عن الثواب والعقاب. في اللغة الأَعراف يا عزيزي: «جمع عُرْف وهو كل عالٍ مرتفع؛ قال الزجاج :الأَعْرافُ أَعالي السُّور؛ قال بعض المفسرين :الأعراف أَعالي سُور بين أَهل الجنة وأَهل النار.»[1] وأهل الأعراف كما أسلفت، هم من تساوت صالحاتهم بسيئاتهم، ويقول عنهم ﷻ: ﴿**وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْاْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ* وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاء أَصْحَابِ النَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ* وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُواْ مَا أَغْنَى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ**﴾. (الأعراف 46 – 48).

عبد الله: وهل سيمكثون عليها إلى الأبد؟

الشيخ سالم: القرار في هذا عائد إلى الله وحده ﷻ. ولكنّي أرى بأنه تعالى سيشملهم فيما بعد برحمته ويدخلهم الجنة. أمّا متى؟

---

[1] (لسان العرب).

فالعلم عنده وحده. وإن لم يكن لديك أي استفسار آخر فسأنتقل إلى الحديث عن يوم القيامة.

عبد الله: لا، لقد اكتفيتُ الآن بما تفضلتَ به أيها الشيخ الجليل.

الشيخ سالم: حسنًا يا عزيزي فلننتقل إلى الحديث عن يوم القيامة والعقاب والثواب.

يوم القيامة:

في اللغة «يومُ القِيامة، أو يومُ البَعْث؛ هو يومٌ يَقُوم فيه الخَلْق بين يدي الحيّ القيوم»[1]. ومن الآيات التي تنبئنا عن يوم القيامة، وعن حسابنا على ما عملنا في حياتنا الدنيا، قوله تعالى:

﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ[2] وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (البقرة 48).

﴿اللّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ حَدِيثًا﴾ (النساء 87).

<u>العقاب</u>

كذلك هي عديدة الآيات التي تنذر بالعقاب، منها:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (آل عمران 91).

---

[1] عن لسان العرب.

[2] العدل، الفداء.

﴿**فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ * يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ (الدخان 10 - 11).

الثواب

وهي عديدة أيضًا، الآيات التي تبشر بالثواب، منها:

﴿**وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَـذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ (البقرة 25).

عبد الله: أفهم مما تفضلت به، أنّ لحظة الموت هي فترة انتقالية من هذه الدنيا إلى الحياة الأُخرى؟

الشيخ سالم: أرجو أن ترجئ استنتاجك، يا عزيزي، إلى ما بعد استكمالنا توضيح، قدر المستطاع، ما أبلغنا إيّاه القرآن الكريم عن هذا الموضوع.

عبد الله: وهل هناك تحديدٌ لتاريخ ذلك اليوم، أو لما يدلُّ على قرب حدوثه؟

الشيخ سالم: لا يا عزيزي، ليس له في القرآن الكريم، أيّ تحديد، او إشارة. فكما لا يعرف أحدنا متى سيموت، فكذلك ليس لنا أن نعرف متى ستقوم الساعة، أي الوقت الذي تقوم فيه القيامة. وقد ورد في عدة آيات من القرآن الكريم، أن علمها عند الله وحده، ﷻ، كما في قوله:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا[1] قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا[2] قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف 187).

﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ (الأحزاب 63).

ولكنّ في القرآن الكريم، علاماتٍ لها، أكتفي منها بقوله:

﴿يَسْأَلُ [الإنسان] أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ* فَإِذَا بَرِقَ[3] الْبَصَرُ* وَخَسَفَ الْقَمَرُ* وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ* يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ* كَلَّا لَا وَزَرَ[4]* إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ* يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ (القيامة 6 - 13).

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا * يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا[5] لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ

---

[1] أيان مرساها: متى وقوعها.
[2] كأنك حَفِيٌّ عنها، كأنك عالم بها.
[3] بَرِق، فزع. والفزع، الذعر من الشيء.
[4] الوَزَر، الملجأ.
[5] متفرّقين.

ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة 1 - 8).

عبد الله: وهل يقوم البشر، يوم البعث، بأجسادهم التي تكون قد اندثرت وبَلِيت بالكامل؟

الشيخ سالم: في الآيات التي تصف ساعة البعث، نجد ما يدلُّ على القيامة بالأجساد؛ كما في قوله تعالى:

﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آَتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ (الحج 7).

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ[1] إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ (يس 51).

﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ[2]* خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ (المعارج 43 - 44).

كما أنّ في الآيات التي تصف العقاب في جهنم، ما يدلُّ على أنه يقع على الأجساد، كما في قوله:

---

[1] الأجداث، القبور. (لسان العرب).

2 النُّصُبُ: العَلَم المَنْصُوب والغاية. يوفضون: يسرعون. (لسان العرب).

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء 56).

بالإضافة إلى ذلك، يؤكّد الله ﷻ، على قدرته على إحياء الأجساد، كما في قوله:

﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (لقمان 28)،

﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (يس 78 - 79).

والعلم عند الله جلَّ وعلا.

ولكن، قلْ لي يا عزيزي، هل ترى في الأمر فرقًا علينا كبشرٍ، لا حول لنا ولا قوة، أمام قدرة ربنا الذي خلقنا، إن كنا سنُحشر يوم القيامة، بالجسد أم بالروح؟ ما دمنا سنحاسب على ما قدمناه لأنفسنا، في هذه الدنيا؟

عبد الله: بالتأكيد، لا فرق بينهما. بل قد يكون عذاب الروح أشدّ إيلامًا من عذاب الجسد.

الشيخ سالم: والآن نعود لسؤالك عمّا إن كانت (لحظة الموت، فترة انتقالية من هذه الدنيا إلى الحياة الأُخرى). وأظنُّ بأن خلف هذا التساؤل نظريةَ التقمص، بانتقال روح الإنسان بعد الموت إلى جسد إنسانٍ آخر، أو نظرية التناسخ بانتقال تلك الروح إلى

جسد حيوان، ومنهم من قال، إلى نبات أيضًا. ولكن، وعلى الرغم من مرور آلاف السنين على طرح هاتين النظريتين، فلم يتمكن أحدٌ من إثبات أيٍّ منهما علميًّا. ومن أصحاب نظرية التقمص من يحاول دعمها بأمرين، الأول: في أنّ عدل الله تعالى يقضي بتساوي الفرص لجميع البشر قبل حسابهم يوم القيامة، بإعطائهم أعمارًا متساوية في الحياة الدنيا؛ فلا يجوز، في رأيهم، أن يتساوى في الحساب، من مات طفلًا عن بضع سنوات، غيرَ مسؤولٍ عن أعماله، مع إنسانٍ عاشَ دهرًا، مدركًا لما يقوم به من الأعمال. فلذا يرون أنّ التقمص يجعل لنفوس البشر أعمارًا متساوية، في دورين أو يزيد، فيكونان بالتالي متساويين في المسؤولية عن أعمالهما. وهذا يقود بالتالي إلى القول بأن الثواب والعقاب يقعان على النفوس لا الأجساد. وفي هذا مخالفة لما جاء فالآيات التي ذكرتها لك سابقًا والتي تقول بأن القيامة تكون بالأجساد.

كما يزعمون أيضًا، أنّ في القرآن الكريم آية تدعم نظريتهم هذه، إذ تقول: ﴿**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾. (البقرة 28). ويجيب معارضو هذه النظرية، بأن المقصود في قوله تعالى (كنتم أمواتًا فأحياكم) هو أنّ جسد الإنسان كان، عند بدء الخلق، ترابًا ميتًا فبثّ فيه الروح، وهذا ما تؤكده الآية: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ**﴾ (المؤمنون 12)، والآية ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ**

لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ (الحجر 28).

وهناك قاعدة لغوية تقول، بأن الكلام أو النص أو الكتاب، يفسّر بعضُه بعضًا، وهي من أهمّ الأسس لفهم القرآن الكريم فهمًا سليمًا. إذ نقرأ فيه ما يدعم رأي معارضي تلك النظرية: ﴿**مِنْهَا [**الأرض**] خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى**﴾ (طه 55).

ويضيف بعضهم قولًا عن السيد المسيح (عليه الصلاة والسلام): **{لن يلج ملكوت السموات والأرض من لم يولد مرتين، أو ليس منا من لم يولد مرتين}**.

وما أفهمه أنا، عن هذا الموضوع، من القرآن الكريم أيضًا، هو أن الله ﷻ، لا يريدنا أن نغرق في البحث عن هذا الأمر، من قوله: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ (85). أي أنّنا لن نصل منه، إلى أيّ نتيجة، ما دام ﷻ، لم يشأ لنا معرفته، كما في قوله: ﴿**وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ**﴾ (البقرة 255).

عبد الله: هو تفسيرٌ منطقيّ، وأفهم بالتالي أنك أيها الشيخ الحكيم، لا تنفي ولا تُقرُّ نظريّة التقمص؟

الشيخ سالم: أجل يا عزيزي، وأضفْ إليها نظرية التناسخ أيضًا. ويبقى العلم دومًا عند الله تعالى. ودعنا نكتفي اليوم بهذا القدر، لنتابع في الموعد القادم إن شاء الله.

عبد الله: وهل في هذه الدنيا ثواب وعقاب أم لا؟

الشيخ سالم: أجل يا عزيزي، فقد أهلك الله ﷻ، أقوامًا حاربوا أنبياء بعثهم الله لهم وعوضًا عن الاستجابة لما جاؤوهم به، فقد حاربوهم، كقوم نوح وعاد وثمود. وبالإضافة إلى ذلك يقول ﷻ:

في العقاب:

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (آل عمران 56).

وفي الثواب:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (يونس 63 - 64).

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (النحل 41).

وأظنُّ بأن لقاءنا اليوم قد استغرق وقتًا أطول من العادة، وفي اللقاء القادم، أجيبك على أي استفسار قد يخطر في بالك في ما تحدثنا عنه اليوم، إن شاء الله.

عبد الله: شكرًا، سيدي الكريم، وإلى اللقاء في الأسبوع القادم.

اللقاء الرابع
الإيمان بالملائكة

بعد الترحيب وتبادل التحية والسلام، قال الشيخ سالم: هل تسنى لك، يا عبد الله، أن تستعيد التفكير في ما حدثتك به في لقائنا السابق عن الإيمان باليوم الآخر؟

عبد الله: أجل، أيها الشيخ الجليل، وكل ما تفضلتَ به كلامٌ منطقي ومقنع. ولكن الكلام عن الثواب والعقاب، يقودني إلى السؤال عما ورد في القرآن الكريم، في وصف الجنة وجهنم.

الشيخ سالم: لقد تطرقت جميع الرسالات السماوية إلى موضوعي الثواب والعقاب، والجنة وجهنم، ولكنّ القرآن الكريم وحده حوى الكثير من التفاصيل والدقائق، إن في الثواب والعقاب أم في الجنة والنار. ولذا سأجيبك باختصار:

في الجنة يجد المُثابُ كلّ ما يسعده، إن ماديًّا أم روحيًا. فيقول: الحمد لله على أنّي اهتديت إلى الصراط المستقيم، فعملت في الدنيا ما جعلني أستحق منزلا في الجنة. وفي جهنم سيقول المُعاقبُ، من شدة العذاب: ألا ليتني عملت في الدنيا ما يقيني هذا العذاب. وَتوجز الآية الكريمة وصف الجنة ببضع كلمات: ﴿**فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾، (الزخرف 71).

ومن يكون مصيره النار، فهم: ﴿**مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾. (البقرة 81).

أما من يفوز بمسكن في الجنة؟ فإلى جانب الأنبياء والمرسلين، فقد بينتهم الآيتان: ﴿**وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾، (البقرة 82) - ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ (البقرة 62). ما يعني أن أبواب الجنة ليست مفتوحة للمسلمين وحدهم، بل للمؤمنين الذين عملوا الصالحات من أتباع الرسالات السماوية كافة.

أما من الذي يقضي بمصير كلّ فردٍ من بني البشر يوم الحساب؟ فهو الله ﷻ وحده، كما في قوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾ (الحج 17). والأمر نفسه ينطبق أيضًا على المعاقبين في جهنم.

عبد الله: وهل هناك ما يوضح ماهية العمل الصالح؟

الشيخ سالم: سأروي لك يا عزيزي حكاية مستوحاة من التراث، عنوانها: «**لا تكذب**»، أرى فيها ما قد يجيبك على سؤالك:

تقول الحكاية: يُروى أن أعرابيًا أتى النبيَّ محمدًا (ﷺ) وقال له: يا رسولَ الله، إنّي كنتُ من أهل الجاهلية، أسرِقُ وأزني وآكُل مال اليتيم ولا أفي بالعهد، بل لم أكنْ أرعوي عن ارتكاب أيٍّ مما حرّم الله أو نهى عنه، مما بلّغتنا. والآن وقد آمنتُ بما تدعونا إليه، فهل سيحاسبني ربِّي على ما ارتكبتُ سابقًا من المعاصي؟

فقال النبي (ﷺ): هل سبق لك يا أخي أن دُعيتَ إلى دينِ أحدٍ ممن سبقني من إخوتي الأنبياء، إبراهيمَ أو موسى أو عيسى؟

قال الأعرابيّ: كلَّا. كما أنّي لم أقابل يومًا أيًّا من الكهنة الوثنيين.

قال النبيُّ (ﷺ): إذًا لا تخفْ يا أخي، «فالإِسْلاَمُ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ ولا يكلِّفكَ اللهُ بما لم تكنْ تعلم»[1]، ولكن شرطَ ألا تعودَ إلى أيٍّ مما كنتَ عليه.

قال الأعرابيُّ: وما عليَّ أن أفعل كي أصبحَ مسلمًا صالحًا؟

قال النبي (ﷺ): عليكّ فقط ألَّا تكذِبْ.

قال الأعرابيُّ: أهذا فقط؟

قال النبي (ﷺ): أجل يا أخي.

قال الأعرابيُّ: هذا أمرٌ سهلٌ جدًا. وإنّي أعِدُك وأعاهدُك عليه. ثمَّ ودعَ النبيَّ (ﷺ) وانصرف. فكانت تجربته الأولى بعد ذلك حين رأى في طريقه شاةً وحيدةً ولم يرَ بالقربِ منها ما يدلُّ

[1] رواه مسلم.

على من يرعاها، فهمَّ بأن يسرِقها، ولكنّه تذكَّرَ وعده للنبي (ﷺ)، فقال في سرِّه: إذا عاد صاحبُها ولم يجدْها وذهب إلى النبيّ (ﷺ) شاكيًا، ثم سألني النبي (ص) عنها، فما عسايَ أن أقولَ وقد عاهدته على عدم الكذب؟ فإذا قلتُ لم أسرِقْها أكون قد كذبتُ، وإذا اعترفتُ بسرقتها فالسرقةُ من المحرَّمات. فتركها وانصرف.

وتوالتْ عليه التجارِبُ في كثيرٍ من المواقف المشابهة فيما حرَّم الله أو نهى عنه، وكان في كلِّ مرةٍ يردعُه وعدُه للنبي (ﷺ) بعدم الكذب. وهكذا أصبح هذا الأعرابيُّ مسلمًا صالحًا صادقًا، لا يمتنع فقط عن ارتكاب المعاصي، بل صار من أصحاب الأعمال الصالحةً.

وحقًا قيل يا عبد الله: **الصدقُ من صفات الأنبياء**.

عبد الله: إنها فعلًا حكاية معبرة، لا فضَّ فُوك.

الشيخ سالم: شكرًا لك. فسننتقل، إذًا، إلى الحديث عن:

الإيمان بالملائكة.

وهو أنّ على المسلم أن يؤمن، أنّ الله تعالى قد خلق، قبل الإنسان، مخلوقات غير ظاهرة لنا، هي الملائكة، ومنها ما هو للخير المحض، وقد خصها القرآن باسم الملائكة، ومنها ما هو للشر المحض، وهي الشياطين، ومنها ما هو مختلط بعضه للخير والبعض الآخر للشرّ وهم الجِنّ. وقد خلقهم، جميعًا، الله ﷻ قبل خلقه الإنسان، ما أشارت إليه الآيتين التاليتين:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ (الحجر 28).

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ (الكهف 50).

عبد الله: أيها الشيخ الجليل، هل يعني الإيمان بالملائكة، أنّ علينا تكريمهم بما فيهم الشياطين والجنّ؟

الشيخ سالم: يا عزيزي المطلوب هو أن نُقرَّ بوجودهم فقط. وكما أسلفت، فكلمة ملائكة، حيثما وردت في القرآن الكريمة، تعني ملائكة الخير. واتخاذهم أربابًا، هو شِركٌ وكُفر، كما في قوله: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران80).

عبد الله: شكرًا على التوضيح، وما هو عمل هذه الملائكة؟ وهل لهم وصف في القرآن الكريم؟

الشيخ سالم:
عليهم، تنفيذ كلَّ ما يقضي أو يأمر به الله ﷻ. ومنهم رُسُلُه، إلى حيث يشاء ومن يشاء، كما جاء في قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾ (الحج 75).

وهم ذوو أجنحة، «مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ»، ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ**[1] **السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ (فاطر 1).

ويُنزّلهم أرواحًا، ﴿**يُنَزِّلُ الْمَلآئِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُواْ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ أَنَاْ فَاتَّقُونِ**﴾ (النحل 2) - ﴿**فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا**[2] **فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا**﴾ (مريم 17).

ومن يعبدهم فقد كفر، ﴿**وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾ (آل عمران 80).

وهم من عباده ﷻ ﴿**إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ**﴾ (الأعراف 206).

عبد الله: أيها الشيخ الجليل، ما دامت الملائكة غيرَ مرئية، والروح كذلك، فلماذا قال تعالى: ﴿**يُنَزِّلُ الْمَلآئِكَةَ بِالْرُّوحِ**﴾؟

الشيخ سالم: يكاد يجمع مفسرو آيات القرآن الكريم على أن المقصود بـ«**الروح**» هنا هو الوحي، استنادًا إلى ما تضيفه الآية عينها أنّ هذا التنزيل هو، ﴿**عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ...**﴾. وقوله: ﴿**يُنَزِّلُ الْمَلآئِكَةَ بِالْرُّوحِ**﴾، أي حاملة أو معها (الوحي)، والباء هنا حرف جر يعني: الإلصاق حقيقة، نحو أمسكتُ بزيدٍ.

---

1 فطَرَ الشيءَ يَفْطُرُه فَطْراً فانْفَطَر وفطَّرَه: شقَّه.

2 روحنا، أي ملاكنا، فلو كانت بمعنى النفس، لجاءت بصيغة المؤنث، كقولنا: فاضت روحه، بينما جاءت في الآية بصيغة المذكر كما نلاحظ في تتمة الآية.

وقد يكون السبب في حالات أخرى، أن بإمكان الروح التمثّل بأي صورة، كما جاء في الآية (مريم 17): **﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾**، والله أعلم.

عبد الله: أيها الشيخ الجليل، هذا الأمر من الغيبيات، وأظنّ أنّ ما تفضلت به أصبح كافيًا. فلننتقل إلى **ملائكة الشر، أو الشياطين؟**

الشيخ سالم: يحذرنا الله تعالى من الشياطين في العديد من آيات القرآن الكريم، على أنهم:

أعداء للبشر، كما في قوله ﷻ: **﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾** (فاطر 6).

يعملون على إغرائهم وإفسادهم والتفريق بينهم، كما في قوله ﷻ: **﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ[1] إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾** (الإسراء 53).

ويسعون إلى زرع الفتنة بينهم، كما في قوله ﷻ: **﴿يَا بَنِي آَدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآَتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾** (الأعراف 27).

وهم أيضًا أعداء للأنبياء، كما في قوله ﷻ: **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ**

---

1 نَزَغَ بينهم يَنْزَغُ ويَنْزِغُ نَزْغاً: أَغْرَى وأَفْسَدَ وحمل بعضَهم على بعض. (لسان العرب).

زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (الأنعام 112).

عبد الله: وماذا عن إبليس، أليس هو من الشياطين أيضًا؟

الشيخ سالم: يخبرنا القرآن الكريم أنه كان من الجنّ ففسق، وأنّه عدوٌ أيضًا للإنسان، **﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾** (الكهف 50).

<u>وباختصار</u>، أقول: أينما وُجدت الخطايا أو الموبقات أو الفواحش أو المعاصي... فاعلم أنّ خلفها شيطانًا فتّانًا وسواسًا خنّاسًا، وإنسانًا من أتباعه.

عبد الله: ما دام الله ﷻ يأمر الإنسان بأن يعمل الخير والصالحات، فلماذا سلّط عليه الشياطين، بل ولماذا خلق هذه الشياطين؟

الشيخ سالم: ليس في القرآن الكريم أيُّ آية أو إشارة عن ذلك، ولكن لمّا سألته الملائكة عن سبب خلقه ﷻ الإنسان، قال ﷻ: **﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾**. (البقرة 30). وقال في آية أُخرى: **﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾** (الأنبياء 16). ولكن العقل والمنطق يُوحِيان أن لو لم نرَ العتمةَ لما أدركنا معنى النور، ولولا وجود الشرّ لما عرفنا الخير. كما أن وجود العدو للإنسان يجعله دائم التهيؤ والاحتياط من شره وغدره. وهذا ما يدعوني إلى القول بأن وجود الشيطان في حياة الإنسان هو حافزٌ له على عدم الوقوع في الخطيئة، إذْ إنه ﷻ، قد ميّز

الإنسان، عن سائر الكائنات الحيّة، بالعقل، وكأنّه وضعه أمام طريقين، واحدٌ للخير والعمل الصالح، وآخر للشرّ وإتيان الفواحش والمحرمات، وقال له، عليك الاختيار، وسيكون حسابُك عندي في الحياة الآخرة، فإمّا الثواب أو العقاب.

وبما أنّ هذا من الغيبيات أيضًا، فيبقى علمه عند الله ﷻ. وقبل الانتقال إلى الإيمان بالجنّ، فهل لديك، يا عبد الله، إيّ استفسار أو استيضاح أو غيره؟

عبد الله: لا أيها الشيخ الجليل، فما فصلته كافٍ، وقانا الله شرّ الشياطين.

الشيخ سالم: إذًا فلننتقل إلى:

الإيمان بالجِنّ:

في اللغة: «جَنَّ الشيءَ يَجُنُّه جَنًّا: سَتَره. وكلُّ شيء سُتر عنك فقد جُنَّ عنك. والجِنُّ ولدُ الجانّ. سمُّوا بذلك لاجْتِنانِهم عن الأَبصار ولأَنهم اسْتَجَنُّوا من الناس فلا يُرَوْن، والجمع جِنانٌ، وهم الجِنَّة[1].» وعلى المسلم أن يؤمن بوجود الجنّ الذين خلقهم الله من نار، كما في الآيات التاليات: **﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾** (الحجر27) - **﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾** (الرحمن 15). وقد قلنا سابقًا أنّ **﴿إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾** (الكهف 50).

وكما قلنا سابقًا أيضًا، إنّ من الجِنّ من هم للخير ومن هم للشر. وهم يحاسبون ويعاقبون كما الإنسان تمامًا، كما في قوله تعالى:

---

[1] لسان العرب.

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ (الأنعام 130).

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (الأعراف 179).

عبد الله: وهل أعطى القرآن الكريم ما يفيد لماذا خلق الله تعالى، الجنَّ؟

الشيخ سالم: يقول تعالى: **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [ليعبدوني]* مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ [يُطعِمُونِي]﴾** (الذاريات 56- 57)، وفي اللغة: «عَبَدَ، أطاع وخضع»، ولا يقال: عبد يعبُد عِبادة إلّا لله ﷻ»[1]، ويمكنني أن أضيف إلى هذا التعريف، «سلّم أمره لله تعالى واستسلم لإرادته وقضائه». وفي عدد لا بأس به من الآيات، ذُكر الجن والإنس مقرونان معًا، ما يوحي بأن للاثنين أدوارا متشابهة إلى حدٍ ما، وكذلك سبب خلقهما، والله أعلم.

ومن تلك الآيات، وبالإضافة إلى الآيتين (الأنعام 112 و130)، اللتين تلوتهما عليك منذ قليل، قوله ﷻ:

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ

[1] (مقاييس اللغة)

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ (الرحمن 33).

﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾. (الناس 4 -6).

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ (النمل 17).

عبد الله: أيها الشيخ الجليل، ما تفضلت به في هذا اللقاء، ينطبق عليه القول: «خير الكلام ما قلّ ودلّ».

الشيخ سالم: الحمد لله الذي هداني، ومنحني هذه النعمة. وسيكون موضوع حديثنا في اللقاء القادم، (الإيمان بالأنبياء والرسل والكتب)، بإذنه تعالي.

اللقاء الخامس
الإيمان بالأنبياء والرسل والكتب

الإيمان بالأنبياء والرسل

في بداية هذا اللقاء سأل **الشيخ سالم** ضيفه، إن كان لديه أيّ سؤالٍ أو استيضاحٍ إضافيٍّ عما حدّثه به في موضوع «الإيمان بالملائكة»، في لقائهما السابق.

فأجابه **عبد الله** قائلًا: شكرًا، أيها الشيخ الجليل، فأرى أنّ ما زودتني به كافٍ.

الشيخ سالم: الحمد لله، وعليه سننتقل اليوم إلى رابع أركان الإيمان، وهو «الإيمان بالأنبياء والرسل»، وإن سمح لنا الوقت نتحدث بخامسها، الإيمان بالكتب.

عبد الله: حسنٌ، وكلّي آذانٌ صاغية.

الشيخ سالم: وبالإضافة إلى ما سبق، فعلى المسلم، أو من رغب في اعتناق الإسلام، أن يؤمن بأن الله تعالى قد بعث لبني الإنسان، أنبياء منهم، ليبلّغوهم الشرع الإلهي، ولهدايتهم إلى السراط المستقيم، إن في علاقتهم مع ربهم، أو في تعاملهم فيما بينهم. وقد ذُكر في القرآن الكريم خمسة وعشرون نبيًّا، هم: آدم وإدريس ونوح وهود وصالح وإبرهيم وإسماعيل ولوط وإسحق ويعقوب ويوسف وأيوب وشعيب وموسى وهارون وداود وسليمان وإلياس وأليسع وزكريا ويحيى والمسيح عيسى ابن مريم وذو الكفل ومحمد (عليهم الصلاة والسلام).

عبد الله: وهل كان مجيئهم تاريخيًّا بهذا التسلسل الذي ذكرته؟

الشيخ سالم: لا يا عزيزي فهذا الأمر أتركه للمؤرخين، ما دام القرآن الكريم لم يبلغنا به.

عبد الله: ومن منهم أنبياء ومن منهم رسلٌ؟

الشيخ سالم: الرسل أربعة هم، بالتسلسل التاريخيّ: إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد (عليهم الصلاة والسلام). والباقون أنبياء. والرسل هم أيضًا أنبياء.

عبد الله: ما الفرق بين النبي والرسول؟

الشيخ سالم: النبي لغة: «المخبر عن الله، عز وجل»[1]، ويكون دوره كما أسلفت، إصلاحيًّا لقومه الذين بُعِثَ إليهم، آمرًا بالمعروف، وناهيًا عن المنكر.

والرَّسول: هو نبيٌّ أيضًا وحاملُ رسالة من الله تعالى، مكلّفٌ بإبلاغها لمن بعثه الله إليهم. و«معناه في اللغة الذي يُتابع أخبار الذي بعثه أَخذًا من قولهم جاءت الإبل رَسَلًا أي متتابعة. وقال أَبو إسحق النحوي في قوله عز وجل حكاية عن موسى وأخيه: {فقُولا إنَّا رسول {رَبّ العالمين} مَعنَاهُ إنَّا رسالَةُ رَبِّ العالمين أَي ذَوَا رِسالة رب العالمين.»[2].

عبد الله: وهل بعث الله الرسل كلاٌّ إلى قومه، كما الأنبياء؟

الشيخ سالم: أجل، ما عدا النبيّ محمد ﷺ فقد بُعِث إلى الناس أجمعين، كما في قوله تعالى: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾** (سبأ 28). ولذا كانت رسالته متممةً وخاتمة لما

---

[1] كما في باب – نبأ - في لسان العرب.

[2] كما في باب – رسل - في لسان العرب.

قبلها، كما في قوله تعالى: **﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾** (المائدة 48).

عبد الله: وهل يعني (مهيمنا عليه) مسيطرًا عليه؟

الشيخ سالم: لا يا عزيزي، فسؤالك هذا مما يقع فيه الكثيرون حين يعتمدون في فهمهم لآيات القرآن الكريم، على مفهومهم لمعاني الكلمات، حسبما حورتها اللهجات العامية، كما قلتُ في لقاء سابق. بينما الواجب هو أن نفهم القرآن بخاصة، حسب معاني الكلام يوم نزول آياته، لا كما حورتها في أذهاننا لهجات العامة. يقول ابن منظور في معجمه (لسان العرب): «وفي التنزيل: {ومُهَيْمِنًا عليه} قال بعضهم: معناه الشاهد يعني وشاهِدًا عليه. والمُهَيْمِنُ: الشاهد، وهو من آمن غيرَه من الخوف، وأَصله أَأْمَنَ. فهو مُؤَامِنٌ، بهمزتين، قلبت الهمزة الثانية ياء كراهة اجتماعهما فصار مُؤَيْمِنٌ، ثم صُيِّرت الأُولى هاء كما قالوا هَراق وأَراق.»

عبد الله: شكرًا على التوضيح، ولكن هل جعل الله تعالى الرسل والأنبياء، على درجات كما البشر؟

الشيخ سالم: بل لا يجوز للمسلم أن يفرق بين أحد منهم، وقد كُرِّر هذا التحذير في غير آية، أكتفي منها بقوله تعالى: **﴿قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾** (البقرة 136).

عبد الله: وهل هناك أنبياء غير الذين ذكروا في القرآن الكريم؟

الشيخ سالم: هناك إشارة يفهم منها ذلك، ولكن من دون ذكر عددهم، في قوله تعالى للنبيّ محمد ﷺ: **﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾** (غافر 78).

عبد الله: وهل هناك فرق بين رسالات هؤلاء الرسل الأربعة؟

الشيخ سالم: أرسل الله، ﷻ، كلًّا منهم بشريعة، جديدة في مظهرها ولا تختلف في جوهرها عما سبقها، أوحى بها إليه، ليبلغها لمن أُرسل إليهم، وتسمّى في القرآن أيضًا، كلّ رسالة منها، «كتاب». ولهذا أمرنا ﷻ بالإيمان بكلٍّ منها، وهو الركن الخامس من أركان الإيمان.

وإن لم يكن لديك أسئلة أخرى في موضوع «الإيمان بالأنبياء والرسل» فسننتقل إلى موضوع «الإيمان بالكتب».

عبد الله: لا حتى الآن لا يحضرني أيُّ سؤال أو استيضاح، وإن خطر لي أيٌّ منهما فسأطرحه عليك في اللقاء القادم إن شاء الله.

الإيمان بالكتب

الشيخ سالم: جيد، ولك أن تسألني عما شئت وأنّى شئت. لقد سبق لي أن أشرت، أن «الإيمان بالكتب» يعني الإيمان برسالات الرسل الأربعة (**عليهم الصلاة والسلام**) الذين سبق ذكرهم.

وبما أن مصدر هذه الرسالات واحدٌ، هو الله ﷻ، فهذا يعني أن لا اختلاف في جوهر تعاليمها، كما في قوله تعالى: **﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ* مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ...﴾** (آل عِمران 3 – 4).

ولقد أرسل الله ﷻ، دين الإسلام، كما ذكرت سابقًا، مكمّلًا وخاتمًا للرسالات السماوية التي أنزلها الله تعالى على كلٍّ من إبرهيم وموسى وعيسى (عليهم الصلاة والسلام)، ولهذا فرض عزّ وجلّ على المسلم «الإيمان بالكتب» التي تضمنت تلك الرسالات. ولا ننسى أيضًا ما جاء في القرآن الكريم، أنّ الإسلام ملّة إبرهيم (عليه الصلاة والسلام)، **كما في قوله تعالى، ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِير﴾** (الحج 78)؛ فيكون على المسلم الإيمان، بالتوراة والإنجيل، بالإضافة إلى القرآن الكريم، الذي هو دستور المسلمين ومرجعهم في الدين والدنيا.

عبد الله: ولكنّي أسمع من الكثيرين، أنّ هناك الكثير من الاختلاف بين ما جاء في القرآن، من جهة، وما جاء في كل من التوراة والإنجيل، من جهة أخرى.

الشيخ سالم: تعني كما هما متوفران حاليًّا في الأسواق، تحت عنوان «الكتاب المقدس»؟

عبد الله: أجل.

الشيخ سالم: حسب موسوعة ويكيبيديا، «الْكِتَابُ المُقَدَّس ويعرف أيضًا بعدة أسماء أخرى أقل شهرة منها **كتاب العهود.** يتكون من مجموعة كتب تسمى في العربية أسفارًا،

ويعتقد اليهود والمسيحيون أنها كتبت بوحي وإلهام .الكتب التسعة والثلاثون الأولى مشتركة بين اليهود والمسيحيين، يطلق عليها اليهود اسم التناخ أما المسيحيون فيسمونها **العهد القديم**، ليضيفوا إليها سبعًا وعشرين كتابًا آخر يشكلون العهد الجديد .إلى جانب هذا التقسيم العام، هناك التقسيم التخصصي، فالتناخ أو العهد القديم، يتكون من مجموعة أقسام وفروع أولها التوراة التي تؤلف أسفار موسى الخمسة، ثم الأسفار التاريخية وكتب الأنبياء والحكمة، في حين أن **العهد الجديد** يقسم بدوره إلى الأناجيل القانونية الأربعة والرسائل وسفر الأعمال والرؤيا. ومواضيع الأسفار مختلفة، فإن اعتبر سفر التكوين قصصيًا بالأولى، فإن سفر اللاويين تشريعيًا بالأخرى، أما المزامير فسفرٌ تسبيحي، ودانيال رؤيوي.»[1]

---

[1] https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8_%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%82%D8%AF%D8%B3#:~:text=%D9%88%D8%AA%D8%AA%D8%B6%D9%85%D9%86%20%D9%86%D8%B5%D9%88%D8%B5%20%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8%20%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%82%D8%AF%D8%B3%20%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AD%D8%AF%D8%A7%D8%AB,%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D8%B6%20%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D8%A6%D9%84%D9%8A%D8%A9%D8%8C%20%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D8%B9%20%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AF%D8%A8%D9%8A%D8%A9%20%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8A%D9%86%D9%8A%D8%A9

ففيما يخصُّ الأناجيل الأربعة، يقول باحثون من إخواننا المسيحيين، أنها بمثابة «سيرة حياة السيد المسيح» (عليه الصلاة والسلام). فما أفهم من هذا أن مضمونها لا يشكل التعاليم الكاملة للإنجيل المقصود في القرآن الكريم. أما في ما خصَّ التوراة، فقد قرأت أنّ العديد من الباحثين يؤكدون أنّها كتبت على مراحل تاريخية متباعدة، وبعد وفاة النبيّ موسى (عليه الصلاة والسلام) بسنين عديدة، وبالتالي هي أيضًا ليست الكتاب الذي عناه القرآن الكريم.

عبد الله: فأنّى لنا إذًا أن نؤمن بما ورد في كتابين لا يَعلم عمّا فيهما، أو عن مصيرهما، أحد؟

الشيخ سالم: سؤال منطقي. ولكن إذا درست القرآن الكريم ستستخلص منه تعاليم رسالتي الرسولين الكريمين موسى وعيسى (عليهما الصلاة والسلام)، وستجد أن لا اختلاف في الجوهر، بينهما وبين تعاليم ديننا الحنيف. وهذا ما يؤكده ﷻ، في قوله: **﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (الشورى 13).**

عبد الله: سأعمل يومًا على هذا إن شاء الله. وهل نكون بهذا إذًا قد انتهينا من الكلام في موضوع أركان الإيمان؟

الشيخ سالم: لا يا عزيزي إذ لا بد لي من أن أضيف أنّ:

مدى صدق إيمان الإنسان لا يعلمه إلا الله ﷻ

فما دُمتُ لا أعلمُ ما يجول في خاطرك الآن يا عبد الله، فأنّى لي أن أعلم مدى حقيقة إيمانك، أنت أو غيرك؟ وفي القرآن الكريم العديد من الآيات التي تنبئنا بأن الله تعالى وحده الذي يعلم بما في عقول وقلوب الناس أجمعين، وصدق إيمانهم أو عدمه، أذكر منها:

﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ (آل عمران 29).

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ (النساء 63).

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ (المائدة 41).

عبد الله: فهل عليّ إذًا أن أتعامل مع الناس بعامةٍ، على أنهم غير مؤمنين؟

الشيخ سالم: لا لا يا عزيزي، لا يجوز لنا أبدًا أن نتهم أو نشكك بإيمان أحدٍ، وجلّ ما عنيته هو أننا لا نستطيع أن نتحقق من مدى صحة أو صدق إيمانه. ولا يحقّ لأيّ إنسانٍ وصفَ أخيه الإنسان بعدم الإيمان، ما لم يجهر هذا الأخير بذلك. وفي ديننا الحنيف لا يجوز لنا أبدًا تكفير مسلمٍ، ما دام ينطق بالشهادتين، حتى ولو لم يؤدِّ الفرائض، ومهما ساء سلوكه، لأن حسابه عند ربه فقط.

عبد الله: ألا يحقُّ لك، أيها الشيخ الجليل، ومن موقعك ومكانتك، أن تفرض على مثل هذا المسلم، أيَّ عقابٍ ما؟

الشيخ سالم: بالتأكيد لا يا عزيزي، بل لا أنا ولا أحد غيري، حتى ولو كنّا في دولة إسلامية يحكمها أيٌّ من الخلفاء الراشدين. فالله تعالى نهانا عن الإكراه في الدين، حتى أنه عاتب الرسول ﷺ في ذلك، قائلًا: **﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾** (يونس 99). وسنتكلم في هذا لدن حديثنا عن المحرمات والنواهي. ثم إنّي لا أعيش مع كلِّ مسلمٍ لأطلع على أعماله. أفلا يجوز أن تكون أعماله أصلح من أعمالي، أنا أو غيري ممن يسمّوننا «رجال الدين»؟ واعلم يا عزيزي أن لا كهنوت في الإسلام، كما لدى إخواننا المسيحيين.

عبد الله: إنّ كلامك هذا، أيها الشيخ الجليل، يدحض الكثير من أقوال وأعمال علماء وفقهاء مسلمين، بإصدار الفتاوى كيف ما اتفق. بانتظار لقائنا القادم بكل شوق وسرور.

الشيخ سالم: إن شاء الله.

اللقاء السادس
أمور متعلّقة بالإيمان

عبد الله: في لقائنا السابق، أوضحت لي، أيها الشيخ الجليل، أنّ الله ﷻ وحده هو العالم بمدى صدق إيمان الإنسان. فهل لي أن أسأل عن بعض الأمور التي قد يكون لها علاقة بأركان الإيمان؟

الشيخ سالم: بالتأكيد يا عزيزي فاسأل ما شئت.

عبد الله: قرأت في سورة الفاتحة، التالي: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ***﴾، فهل لك أن توضح لي من هم كل من هؤلاء؟

الشيخ سالم: سؤال وجيه يا عبد الله، وسأجيبك عليه، وعلى أمور أخرى لها علاقة بالإيمان، بما استخلصته من آيات القرآن الكريم:

<u>المنعم عليهم</u>:

لقد بينهم لنا الله ﷻ في قوله: ﴿**وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا**﴾ (النساء 69).

وبينت لنا الآية التالية من هم الصديقون: ﴿**الَّذِينَ آَمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ**﴾. (الحديد 19).

ولا ننسى السيدة مريم العذراء التي وصفها الله تعالى بأنها صديقة في قوله: ﴿**مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ**﴾ (المائدة 75).

ومن الصالحين أيضًا، **﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾** (آل عمران 113 - 114).

المغضوب عليهم:

قاتِلُ المؤمن عمدًا، **﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾**. (النساء 93).

عابد العجل، **﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾**. (الأعراف 152).

من كفر بعد إيمانه، **﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾**. (النحل 106).

الذين يجادلون المؤمنين المستجيبين لله ولرسوله ليصدوهم عما سلكوه من طريق الهدى، **﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾**. (الشورى 16).

المنافقون والمشركون والظّانون بالله ظنّ السوء، **﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ﴾**. (الفتح 6).

ويمكنني أن أُعمّم، بأن كلَّ من كان مصيره جهنم، فهو مغضوبٌ عليه.

الضالّون:

أما من هم الضالون؟ فلتعدُّدِهم، وبالتالي لتعدد الآيات التي بينتهم، فسأكتفي بالتعريف بأوصافهم، في ما يلي، كما استخلصتها من آيات القرآن الكريم، والله العالم بما في الصدور، هو أعلم بهم:

* مَنْ رغِبَ في الْكُفْرَ عن الْإيمَانِ، (البقرة 108).
* الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ، (البقرة 174).
* الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ، (آل عمران 90).
* مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ، (النساء 116).
* مَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْأَخِرِ، (النساء 136).
* الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، (النساء 167).
* الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ، (الأنعام 140).
* الذين حَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ، (الأنعام 140).
* الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْأَخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا، (الرعد 3).
* مَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ، (الحجر 56).
* مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ، (الحج 11).
* من يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ، (القصص 50).
* مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، (الأحزاب 36).

* من أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا، (سبأ 8).
* الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ، (الشورى 18).
* مَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ، (الأحقاف 5).
وهل لديك أيّ سؤال آخر في هذا الأمر؟
عبد الله: لا، هذا كافٍ الآن، شكرًا.
الشيخ سالم: إذن سأنتقل إلى أمور أخرى أراها من الغيبيات بالنسبة لنا كبشر، وهي بالتالي مما له علاقة بالإيمان، ومنها أنّه ﷻ هو الذي:

<u>يدبر الأمر</u>:

الله ﷻ الذي خلق السموات، والأرض وما فيهن وعليهن، يدبر أمرهن، **﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ...﴾**، (يونس 3)، - **﴿...وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾** (يونس 31)، - **﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ﴾** (الرعد 2)، ويقول ابن كثير: «{يُدَبِّرُ الأَمْرَ} أي يدبر أمر الخلائق»[1]. ويقول السعدي: «{يُدَبِّرُ الأَمْرَ} في العالم العلوي، والسفلي، من الإماتة والإحياء، وإنزال الأرزاق، ومداولة الأيام بين الناس، وكشف الضر عن المضرورين، وإجابة سؤال السائلين.»[2]

وهو الذي يحفظ السموات والأرض من الزوال حتى الأجل الذي جعله لهن. **﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضَ أَنْ**

---

[1] تفسير القرآن العظيم – ابن كثير.
[2] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – السعدي.

تَزُولاَ...﴾، (فاطر 41). - **﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا...﴾**، (البقرة 255). - **﴿لَهُ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَالأَرْضِ...﴾** (الشورى 12).

<u>وهوالرّزّاق الذي يوزع الرزق كما يشاء:</u>

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾، (الذاريات 58). - **﴿...وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾** (سبأ 39).

وهو تعالى يوزع الرزق بين بني البشر كما يشاء، وبالمقادير والكميات والأحجام التي يحددها هو وحده، يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء **﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ...﴾**، (الرعد 26)، وهذا النص يتكرر أيضًا في بضع آيات أخرى[1].

ويرزق من يشاء بغير حساب، **﴿...وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾** (البقرة 212)، **﴿...إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾** (آل عمران 37) فكما جعل الناس درجات، **﴿...نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ...﴾** (الأنعام 83)، كذلك فضل بعضهم على بعض في الرزق، **﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ...﴾** (النحل 71).

عبد الله: ولماذا لم يساوِ الله تعالى جميع بني البشر في الرزق؟

الشيخ سالم: على هذا يجيبنا ﷻ في قوله: **﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾** (27 الشورى). فكما يتوزع العاملون في

---

[1] (القصص 82 والعنكبوت 62 والروم 37 وسبأ 36 و39 والزمر 52 والشورى 12).

الشركات التجارية الناجحة، بمسؤوليات تراتبية، وتختلف أجورهم حسب حجم المسؤولية التي كُلّف بها كلٌّ منهم، فكذلك يقتضي حال المجتمعات السليمة. ولذا قال، إنّ في هذا التفضيل آياتٍ لقوم يؤمنون، ولكن أكثر الناس لا يعلمون، **﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾**، (الروم 37)، - **﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾** (الزمر 52).

عبد الله: شكرًا، جواب مقنع، أيها الشيخ الجليل، ولكن ما دام كلّ إنسان له قدر معين من الرزق حدده له الباري سلفًا، كما أسلفتَ، فلماذا إذًا علينا بذل الجهد والجد والسعي للحصول على المزيد من هذا الرزق؟

الشيخ سالم: الجواب على سؤالك هذا نجده في الآيتين التاليتين: **﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾** (الإسراء 20)، - **﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾** (العنكبوت 17). ثم مَن مِن بني الإنسان له اطلاع على مشيئته تعالى، فكما حجب عن كلٍّ منا العلم بمدة بقائه في هذه الدنيا، فقد حجب عنا، أيضًا، ماذا أو كم قَسمَ لكلّ منا من الرزق، أو حتى متى سيصله ما قُسم له؟ هذا ما يجعلني أرى أن قوله تعالى: **﴿اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾**، هو حافزٌ على العمل لا على الكسل. وهناك الكثير من الآيات التي تحضُّ على ابتغاء الرزق إذ يقول: **﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾** (القصص 73)، - **﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ...﴾** (الجمعة 10). فلو علم الإنسان

مقدار حصته من الرزق، لتخلّى عن الطموح البشري الذي خصه به خالقه مما سيمكنه من إعمار الأرض التي استخلفه فيها.

وإن لم يكن لديك استفسارٌ آخر، يا عبد الله، فسأنتقل إلى أمرٍ آخر؟

عبد الله: ما تفضلت به كافٍ، شكرًا أيها الشيخ الجليل.

الشيخ سالم: إذًا سأنتقل إلى موضوع،

الموت:

ومما حجب عنّا معرفته أيضًا، هو العلم بما قسم، ﷻ لكلٍّ منا من سنوات العمر في هذه الحياة الدنيا؛ إذ يقول لنا: **﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾**، (الواقعة 60)، - **﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾**، (فاطر 11)، - **﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾**، (آل عمران 145).

وليس في يدِنا أيضًا تأخير أو تقديم ساعة حلول آجالنا: **﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾**، (34).

ولا نعلم أيضًا، كيف ستكون حالنا في شيخوختنا: **﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾**، (70).

كذلك لا نعلم بأي أرض سنموت: **﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾**، (لقمان 34).

عبد الله: وفي هذا، بالتأكيد حكمة إلهية.

الشيخ سالم: أجل يا عزيزي، فالحال هنا يتشابه مع حال عدم معرفتنا بمقادير أرزاقنا. ألا ترى ذلك معي أيضًا؟

عبد الله: أجل أيها الشيخ الجليل.

الشيخ سالم: وهكذا إذًا نكون قد انتهينا، إلى حدٍّ ما، من الكلام في أركان الإيمان في الإسلام، وسننتقل في لقائنا القادم، إن شاء الله، إلى الكلام عن الفرائض.

عبد الله: شكرًا وأستودعكم الله، أيها الشيخ الجليل، وإلى اللقاء، إن شاء الله.

اللقاء السابع
الصلاة

في بداية اللقاء، وبعد الترحيب بضيفه، قال الشيخ سالم: قلنا في أول لقاء لنا، إنّه يتوجب على المسلم أربعة فرائض، وقد تسمَّى أيضًا «أركان الإسلام»: وهي الصلاة والصيام والزكاة والحجّ إلى البيت الحرام، إن استطاع إليه سبيلًا. بالإضافة إلى واجب الجهاد في سبيل الله. وسنبدأ اليوم بالكلام عن الصلاة.

فلِكي تصح الصلاة، على المصلي واجب الطهارة قبل الشروع بالصلاة، وهذا الواجب يتحقق بالوضوء أو التيمم أو الاغتسال. وقد أوضحت ذلك الآيتان التاليتان:

- **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾** (المائدة 6).
- **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً**

فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ (النساء 43).

فالوضوء:

يتم بغسل الوجوه، والأيدي إلى المرافق، والأرجل إلى الكعبين، والمسح بالرؤوس، وطهارة مخرجي البول والتغوط، بالماء النقية.

والتيمم: يغني عن الوضوء، في حالة المرض أو السفر، أو عدم وجود الماء بعد التغوط أو المجامعة. ويتم بمسح الوجه واليدين بالتراب النظيف غير المدنس بأي نوعٍ من القذارة.

أما الاغتسال: فيتوجب إثر المجامعة.

عبد الله: أتسمح لي، أيها الشيخ الجليل، بالاستيضاح عن بعض الأمور؟

الشيخ سالم: بالتأكيد يا عزيزي، فاسأل ما شئت.

عبد الله: هل علينا أن نتبع، في الوضوء، الترتيب بالتسلسل الذي ورد في الآية الأولى؟

الشيخ سالم: على الرُّغم من أنّ أصحاب هذا الرأي كثيرون، فلا أراه فرضًا، فلا جناح عليك في اتباعه أو عدمه. فالقرآن الكريم يعتبر حافظ اللغة العربية وقواعدها، كما أن ما من كلمةٍ أو حرفٍ ورد جزافًا في آياته. فإن قلنا: جاء زيدٌ وعمروٌ، فلا ندري أيهما جاء أولا. إما إن قلنا: جاء زيدٌ فعمروٌ، عرفنا أن زيدًا هو الذي جاء أولا، ثم جاء عمروٌ بعده مباشرة. فالفرق بين الواو والفاء، هو أنّ الأولى تعني العطف، بينما في الفاء،

العطفُ والترتيبُ والتعقيبُ. فلو أراد الله منا اتباع الترتيب الوارد في الآية، لربط بين أحداثه بالفاء.

عبد الله: وهل أفهم من قوله: «**لامستم النساء**»، أنّني إذا صافحت امرأة عليّ أن أتوضأ أو أغتسل؟

الشيخ سالم: للأسف يا عزيزي، فهذا مما يظنه كثيرون، ولذا نرى العديد من النساء والرجال، يمتنعون عن مصافحة الجنس الآخر، لجهلهم المقصود بالملامسة. ولقد سبق أن قلنا يا عزيزي إنّ غاية الوضوء النظافة، والاغتسال لإزالة الجنابة بعد المجامعة. فهل يجوز لي أن أحكم، ومن دون أي دليل، أنّ يدَ كلّ من أصافح، من الجنس الآخر، قذرة كي أتوضأ بعد لمسها؟ أم أنّني بلمس تلك اليد أكون قد جامعت صاحبتها، كي أغتسل؟ وفي هذا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِذَا الْتَقَى الْخِتَانَانِ**[1]، **وَتَوَارَتِ الْحَشَفَةُ، فَقَدْ وَجَبَ الْغُسْلُ**»[2].

ويقول الطبري: «حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن عكرمة وسعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح وعبيد بن عمير: اختلفوا في الملامسة، فقال سعيد بن جبير وعطاء: الملامسة ما دون الجماع. وقال عبيد: هو النكاح. فخرج عليهم ابن عباس، فسألوه، فقال: أخطأ الموليان وأصاب

---

[1] الختان هو موضع القطع من فرج الذكر والأنثى، وهو أعم من أن يكون مختونًا أم لا، والمراد بمجاوزة الختان الختان، الجِماع. (تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي).

[2] (ابن ماجه 639).

العربيّ: الملامسة: النكاح.» ومعظم المفسرون ينحون هذا النحو.

ولذا قلت وأقول، يا عزيزي: إنّ المصافحة بين أفراد الجنسين لا توجب الاغتسال، أو حتى تجديد الوضوء.

عبد الله: جواب مقنع. وسؤالي الثاني: هل علينا الوضوء بعد الانتهاء من الاغتسال؟

الشيخ سالم: هذا أيضًا ما يظنّه الكثيرون فرضًا. فدعني أجيبك بسؤال: عندما تغتسل، أفلا تغسل جسدك بالكامل، بما فيهه الأعضاء المطلوب غسلها للوضوء؟

عبد الله: هذا، حقًا، جوابٌ قاطع للشك. وقد سمعت من أحدهم أن صحة الوضوء تفرض غسل العضو ثلاث مرات. فهل هذا صحيح في رأيك؟

الشيخ سالم: سأسألك بدوري، أيضًا، إن كانت يداك ملطختين بشحوم وزيوت السيارات، مثلًا، أيكفي تنظيفهما ثلاث مرات بالماء؟ الغسل يا عزيزي غايته النظافة، وعليك أنت تقدير ما يلزم أو ما يكفي لتنظيف اليدين أو غيرهما.

عبد الله: وهل تجوز إقامة صلاتين متتاليتين بوضوء واحد؟

الشيخ سالم: عن أحد الصحابة، «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى الصَّلَوَاتِ يَوْمَ الْفَتْحِ بِوُضُوءٍ وَاحِدٍ. وَمَسَحَ عَلَى خُفَّيْهِ. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: لَقَدْ صَنَعْتَ الْيَوْمَ شَيْئًا لَمْ تَكُنْ تَصْنَعُهُ. قَالَ: «**عَمْدًا صَنَعْتُهُ يَا عُمَرُ**»[1]. أضف إلى ذلك، فإن كان ﷻ، قد سمح لنا التطهر

[1] (أخرجه مسلم).

بالتراب، فهل تظنّ أنه سيحاسبنا إن أقمنا صلاتين بوضوء واحد، ما دمنا طاهرين من الدنس؟

عبد الله: شكرًا على هذا التوضيح المقنع، أيها الشيخ الجليل.

الشيخ سالم: حسنًا، فلننتقل إذًا إلى،

الصلاة:

يستخلص من آيات القرآن الكريم أنّ على المسلم خمسَ صلواتٍ في اليوم، هي: صلاة الفجر، والظهر، والعصر، والمغرب، والعِشاء.

ولحكمة إلهية، من علّام الغُيوب، لم يَرد في القرآن الكريم أيُّ نصٍّ يصف شكلَ الصلاة، فيما عدا أن يولّي المصلّي وجهه شطر المسجد الحرام في مكة المكرمة، كما في قوله: ﴿**فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ**﴾. (البقرة 144). هذا بالإضافة إلى ذكر الركوع والسجود، والخشوع، ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ**﴾. (المؤمنون 1 - 2). والخشوع يقضي أيضًا اجتناب المصلي كل ما قد يشغل فكره في غير الصلاة.

وبما أنه تعالى، قد أمرنا بإطاعة رسوله الكريم ﷺ، في ذلك وغيره، كما في قوله: ﴿**فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾ (المجادلة 13)؛ فعلينا إذًا أن نتشبه به ﷺ. وقد وصف أحد الصحابة صلاته ﷺ، قال: «كان رسول الله ﷺ إذا قامَ إلى الصلاةِ اعْتَدَلَ قَائِمًا وَرَفَعَ يَدَيْهِ

حتى يُحَاذِيَ بهما مَنْكِبَيْهِ[1]، فإذا أراد أنْ يركعَ[2] رفعَ يَدَيْهِ حتى يُحَاذِيَ بهما مَنْكِبَيْهِ، ثم قال: الله أكْبَر، وركعَ، ثم اعْتَدَلْ، فلم يُصَوِّبْ رَأْسَهُ ولم يُقْنِعْ[3]، ووضع يَدَيْهِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ، ثم قال: سَمِعَ الله لمن حَمِدَهُ، ورفع يديه واستدلَ، حتى يَرْجِعَ كُلُّ عَظْمٍ في مَوضِعِهِ مُعْتَدِلًا، ثم هَوَى إلى الأرْضِ ساجدًا[4]، ثم قال: الله أكْبَر، ثم جَافَى عَضُدَيْهِ عن إبْطَيْهِ، وَفَتَحَ أصابِعَ رِجْلَيْهِ، ثم ثَنَى رِجْلَه اليسرى وَقَعَدَ عليها ثم اعْتَدَلَ حتى يَرْجِعَ كُلُّ عَظْمٍ في مَوضِعِهِ مُعْتَدِلا ثم هَوَى ساجدًا، ثم قال: الله أكْبَرُ، ثم ثَنَى رِجْلَهُ وَقَعَدَ واعْتَدَلَ حتَّى يَرْجِعَ كلَّ عَظْمٍ في مَوْضِعِهِ، ثم نَهَضَ، ثم صَنَعَ في الرَكعةِ الثانية مِثْلَ ذلك، حتى إذا قامَ من السجدتينِ كَبَّرَ ورفَع يديهِ حتى يُحَاذِيَ بهما مَنْكِبَيْهِ كما صنعَ حينَ افْتَتَحَ الصلاةَ، ثم صَنَعَ كذلكَ حتى كانتِ الركعةُ التي تَنْقَضِي فيها صلاتُهُ أخَّرَ رِجْلَهُ اليُسْرَى وَقَعَدَ عَلَى شِقِّهِ مُتَوَرِّكًا، ثم سَلَّمَ»[5].

شكل الصلاة هذا، كما وضعه النبي ﷺ، هو عبارة عن نظام يتبعه المؤمنون كي يكونوا متساويين، وبخاصة عند صلاة الجماعة، فتكون حركات وأوضاع الجميع واحدة غير

---

[1] المَنْكِبُ من الإنسان وغيره: مُجْتَمَعُ رأْسِ الكَتِفِ والعَضُدِ. (لسان العرب).

[2] الرُكُوعُ: الانحناءُ، ومنه رُكُوع الصلاةِ. (الصحاح الجوهري).

[3] (ولم يقنع) من أقنع رأسه إذا رفع، أي لا يرفع رأسه حتى يكون أعلى من ظهره. (تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي).

[4] سَجَدَ خضع ومنه سُجُودُ الصلاة وهو وضع الجبهة على الأرض. (مختار الصحاح – ابن أبي بكر الرازي)

5 سنن الترمذي.

متخالفة. والركوع والسجود إلى جانب كونهما إظهار الطاعة والخضوع لله ﷻ، هما أيضًا تمارين رياضية مهمّة، إن أُعطيت الحركات حقها.

وإنّي أرى أنه تعالى لم يلزمنا بشكل معينٍ للصلاة، كي لا نكون محرجين عندما لا يكون بإمكاننا تطبيقه لمانعٍ صحيٍّ أو لأي سبب آخر، وبالتالي لتكون صلاتنا مقبولة حتى ولو بتحريك العينين. فإن كنت، يا عبد الله، مسافرًا بالطائرة، مثلًا، فلست فقط، لن تتمكن من تأدية الصلاة خارج مقعدك إن وجدت مكانًا صالحًا، بل أيضًا لا يحق لك إزعاج أيّ من الركاب الآخرين، حتى لو كانوا جميعًا مسلمين، بل وقد يكون في ذلك تعدٍ على حرياتهم، وإعاقة لطاقم الخدمة في عملهم على الطائرة، أيضًا. وفي هذا مخالفة لقوله تعالى: ﴿**وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ**﴾ (الشعراء 183). وأفهم من قوله: «**أَشْيَاءَهُمْ**»، «حقوقهم المادية والمعنوية» والتي منها «حريتهم»؛ وقد أمرنا ﷻ، أيضًا بعدم الاعتداء، بقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ (المائدة 87)، ومن سياق هذه الآية نفهم أنّ أمره ﷻ، يشمل الاعتداء لا بالقتال فقط، بل بكل الوسائل. ولنتذكر دومًا قوله ﷻ: ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**﴾ (البقرة 185). كما أنّ أداء الصلاة ليس للتباهي، فهو بين العبد وربّه. وقد يصبح مثل هذا «المصلي»، من الذين توعدهم ﷻ، بقوله: ﴿**فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ**﴾ (الماعون 4) ...

﴿**الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ**﴾. (المعاون 6 - 7).

عبد الله: لا بدّ لي من شكر أستاذي الذي أشار عليّ أن أتتلمذ على يديك، في فهم دين الإسلام، أيها الشيخ الجليل. ولكن، لقد ورد في وصف صلاة النبي ﷺ، الذي نحن بصدده، كلمة (ركعة)، فهل لك أن توضح لي المقصود منها؟

الشيخ سالم: لقد وصل إلينا بالتواتر، أنّه إذا اعتدل المصلي واقفًا ثم تعوذ وبسمل ونوى الصلاة، فكبّر مرتين ثم قال: «**قد قامت الصلاة**» مرتين، فتلا الفاتحة وما تيسر من آيات القرآن الكريم، ثم كبّر فركع فردد: «**سبحان ربي العظيم**» ثلاث، ثم اعتدل قائلا: «**سمع الله لمن حمده**»، ثم كبّر فسجد، وردد ثلاث: «**سبحان ربّي الأعلى**»، ثم قعد واستغفر ربّه، ثم عاد وسجد مسبحًا كما في سجدته الأولى، يكون قد أدّى الرَكعةً الأولى من صلاته، فيكبّر ويعتدل واقفًا، ليؤدي الركعة الثانية، كما فعل في الأولى، ولكن بعد سجدته الثانية في الركعة الثانية، قعد وقال: «**التَّحِيَّاتُ الطَّيِّبَاتُ الصَّلَوَاتُ لله. السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ. السَّلاَمُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ الله الصَّالِحِينَ.**» ثم رفع سبابته اليمنى علامة التوحيد وقال: «**أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلـهَ إِلاَّ الله وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**». وفي الركعة الأخيرة من كل صلاة، يضيف على ما سبق، قول: «**اللّهمَّ صلِّ وسلّم على سيدنا محمدٍ وعَلَينا وعلى عبادك الصالحين، كما صليتَ وسلّمت على سيدنا إبراهيمَ إنكَ حَميدٌ مَجيد، اللّهمَّ باركْ**

على محمدٍ وعلى آلِ محمدٍ كما باركتَ على سيدنا إبراهيم إنَّكَ حَميدٌ مَجيد»؛ ثم يُسَلِّمُ عن يَمِينِهِ وعن شِمَالِهِ حتَّى يُرَى بَيَاضُ خَدِّهِ، قائلًا: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ الله، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ الله**». أما عدد الرَكعات في كل صلاة، فكما وصل إلينا أيضًا، فهو كالتالي: الفجر ركعتان، الظهر والعصر، في كل منهما، أربع ركعات، المغرب ثلاث، العشاء أربع. أما أوقات كلٍ من هذه الصلوات فتبعًا لدوران الأرض حول الشمس وموقع المصلي على الكرة الأرضية. وهذه الأوقات تنشرها للعموم مراكز الرصد الجوي، في كل مدينة في العالم أجمع.

عبد الله: ولكني سمعت من أحدهم أنه تعلّم أن يضيف بعد قول، «**اللهم صلِّ وسلم على سيدنا محمد**»: «**وعَلَى آلِ محمدٍ**» عوضًا عن «**وعَلَينا وعلى عبادك الصالحين**».

الشيخ سالم: لماذا نحرِم أنفسنا وسائر عباد الله الصالحين من دعائنا لهم؟ فأرى أنّ في قولنا: «**وعَلَينا وعلى عبادك الصالحين**»، نكون قد شملنا جميع الصالحين سواء من آل الرسول ﷺ، أم سائر المسلمين.

عبد الله: وهل على المصلّي، التقيد بهذه الأوقات، بالساعة والدقيقة؟

الشيخ سالم: يقول تعالى: ﴿**فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا**﴾. (النساء 103). جاء في لسان العرب لابن منظور: «اطْمَأَنَّ الرجل اطْمِئنانًا وطُمَأْنِينةً أَي سَكَنَ... وقولـه تعالـى: {قل لو كان فـي الأَرض

ملائكةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ}؛ قال الزجاج: معناه مُسْتَوْطِنِينَ في الأَرض... واطْمَأَنَّ قلبه إذا سكن، واطْمَأَنَّتْ نفسه، وهو مُطْمَئِنّ إلى كذا». و«**كِتَابًا مَوْقُوتًا**» لا تعني وجوب إقامة الصلاة فور حلول وقتها، بل يمتد جواز تأديتها إلى ما قبل حلول وقت الصلاة التالية.

وفي الآية (101 - النساء)، أي قبل الآية (103 من السورة عينها)، قال ﷻ: ﴿**وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا...**﴾ (النساء 101). وقصر الصلاة: جعلها قصيرة بترك بعض أركانها ترخيصا.

وعنِ النبيِّ ﷺ أنه قال: «**مَن نسيَ صلاةً فليُصلِّ إذا ذكرَها، لا كفارةَ لها إلاّ ذلك: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي}**[1]»[2]. وعنه ﷺ أيضًا: «**من لم يصلِّ ركعتَيْ الفجرِ فليصلّهمَا بعد ما تطلعُ الشمسُ**»[3].

ومما سبق، ومن قوله تعالى: ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**﴾. ومن مبدأ: «الضرورات تبيح المحظورات»، ولاجتناب تشتت الفكر إبّان الصلاة، أرى أنّه يمكن للمصلّي تأجيل إقامة الصلاة في حال الشعور بالخطر حتى زواله، أو انشغال فكره في عمله، وبخاصة إذا كانت ضروراته تقضي بعدم توقفه.

---

[1] (طه: 14).
[2] (أخرجه الطبري).
[3] (أخرجه الترمذي).

عبد الله: وما هو مستوى صوت المصلّي في التكبير والتسبيح وتلاوة الآيات، في مراحل تأدية الصلاة؟

الشيخ سالم: يقول تعالى في ذلك: ﴿**وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا**﴾[1]؟ و«عنْ أبي سَعِيدٍ، قال: اعْتَكَفَ رَسُولُ الله ﷺ، في المَسْجِدِ فَسَمِعَهُمْ يَجْهَرُونَ بالْقِرَاءَةِ. فَكَشَفَ السِّتْرَ وَقالَ: «**أَلاَ إِنَّ كُلَّكُمْ مُنَاجٍ رَبَّهُ، فَلاَ يُؤْذِيَنَّ بَعْضُكُمْ بَعضًا. وَلاَ يَرفَعُ بَعضُكُم عَلَى بَعْضٍ في الْقِرَاءَةِ أَوْ قالَ فِي الصَّلاَةِ**»[2]. وعن ابن عَبَّاسٍ، قَالَ: «**كَانَتْ قِرَاءَةُ النَّبيِّ ﷺ على قَدْرِ مَا يَسْمَعُهُ مَنْ في الْحُجْرَةِ وَهُوَ في الْبَيْتِ**»[3].

عبد الله: وماذا عن صلاة الجمعة؟ وهل يتوجب التوقف عن العمل في يوم الجمعة بكامل ساعات النهار؟

الشيخ سالم: يقول تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ (الجمعة 9 - 10).

وقت الصلاة يوم الجمعة، هو عند الظهر. يتوجه فيه المصلّون إلى أقرب مسجد جامع لكل منهم، حيث يتم التعارف والتلاقي بينهم كإخوان، ويؤدُّون صلاة الجماعة، ويسمعون خطبةً، أرى

---

[1] (الإسراء 110).
[2] (أخرجه أبو داوود)
[3] (أبي داوود 1327)

أن تكون بمثابة محاضرة أسبوعية في شؤون الدين وسلوك وأخلاق وتعامل المسلمين، لا فيما بينهم فقط، بل مع الآخرين أيضًا. أمّا عن وقف الأعمال يوم الجمعة، فليس فرضًا قبل حلول الصلاة أو بعد انتهائها، ما أوضحته الآيتان: (الجمعة 9 - 10) السابق ذكرهما.

وإن كان سؤالك يشمل أيضًا، مدى ارتفاع الأصوات، فأرى وجوب عدم تجاوز صوت الإمام والخطيب، جدران المسجد. إذ ينطبق عليه أيضًا ما قلناه عن مستوى صوت المصلي في عدم الجهر بالصلاة، وفي التشبه برَسُولُ الله ﷺ.

عبد الله: شكرًا سيدي الكريم، وهل نكون بذلك قد انتهينا من موضوع الصلاة؟

الشيخ سالم: لا بد، يا عزيزي من القول أيضًا، بأن الصلاة ليست سجودًا وركوعًا فقط، بل هي توجه المؤمن إلى خالقه مؤكدًا له بأنّه ما زال على خضوعه لمشيئته وإرادته وعلى طاعته وتسليم أمره له ﷻ. كما تعني أيضًا: «الدُّعاءُ، والرَّحْمَةُ، والاسْتِغْفارُ، وحُسْنُ الثَّناءِ من اللهِ، عَزَّ وجَلَّ، على رَسُولِهِ، ﷺ». وفي فضائل الصلاة يقول تعالى:

- **﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾** (العنكبوت 45).
- **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾** (البقرة 153).

وأظنُّ أنني بهذا أكون قد بيّنت لك بإيجاز معظم نواحي موضوع الصلاة في الإسلام. وستكون، «الزكاة» موضوعنا في اللقاء القادم، إن شاء الله.

عبد الله: أستودعك الله وإلى اللقاء، في الأسبوع القادم إن شاء الله.

اللقاء الثامن
الزكاة

في بداية هذا اللقاء، وبعد ترحيب الشيخ سالم بضيفه، قال **عبد الله**: أظنُّ، سيدي الشيخ الجليل، أنّنا سننتقل في حديثنا اليوم إلى عالم المال، إن صح التعبير.

الشيخ سالم: يمكنك قول ذلك، فموضوعنا اليوم هو، ثانية الفرائض في الإسلام بعد الصلاة، عنيت:

الزكاة: وقد أمرنا الله تعالى بإيتاء الزكاة في آيات عديدة في القرآن الكريم، أكتفي منها بما يلي:

- **﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾**. (البقرة 43).
- **﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾**. (النور 56).
- **﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾**. (المجادلة 13).

والزَّكاة في اللغة، «ما أَخرجتَه من مالك لتطهره به، وقد زَكَّى المالَ وقوله تعالى {وتُزَكِّيهم بها}؛ قالوا تُطَهِّرُهم بها... وفي التنزيل العزيز {والذين هم للزَّكاة فاعِلُون}؛ قال بعضُهم الذين هم للزكاة مُؤْتُون»[1]. وفي تفسير الطبري للآية 43 من سورة البقرة نقرأ: «أما إيتاء الزكاة: فهو أداء الصدقة المفروضة وأصل الزكاة: نماء المال وتثميره وزيادته. ومن ذلك قيل: زكا

[1] لسان العرب، باب "زكا".

الزرع: إذا كثر ما أخرج الله منه وزكت النفقة: إذا كثرت.»
كذلك يقول القرطبي في تفسيره للآية عينها: «قوله تعالى: {وَآتُواْ ٱلزَّكَاةَ} أمْرٌ أيضًا يقتضي الوجوب. والإيتاء: الإعطاء».
والزكاة صدقة وفريضة: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة 60). وهي صدقةٌ أيضًا، بدليل ما جاء في الآية (التوبة 103): **﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا...﴾**. وهذه الصدقة بالإضافة إلى

ولكن وعلى الرغم من أنّ عدد آيات القرآن الكريم في موضوع الزكاة، قد فاق المائة والثلاثين آية[1]، فإننا لا نجد في أيٍّ منها تحديدًا دقيقًا أو صريحًا لكثير من الأمور التفصيلية. ولكنّني أرى أنه ﷻ، ترك للرسول ﷺ، أمر تحديد تلك الدقائق والتفاصيل، كما فعل في ما خص شكل الصلاة، إذ أمرنا أيضًا بإطاعته ﷺ، كما جاء في الآيتين: (النور 56) و(المجادلة 13)، السابق ذكرهما. مع الفرق بأن الصلاة يمكننا تأديتها كما وضع شكلها النبي ﷺ، في جميع الأزمان؛ أما الزكاة، التي أراها مشابهة «لضريبة الدخل» التي تفرضها الحكومات في أيامنا هذه، والتي تتغير مع الزمن، فأرى الحقّ، في تحديد دقائقها، جائزًا، بعد النبي ﷺ، لأولي الأمر من المسلمين، شرط

[1] راجع موضوع (الزكاة والصدقات والإنفاق في سبيل الله) في كتابنا «دليل الموضوعات في آيات القرآن الكريم» - بيروت – 2001.

عدم مخالفة ما أمرنا به الله ﷻ، والرسول ﷺ، من قوله ﷻ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**﴾ (59).

عبد الله: ولكن المعروف أنَّ المسلمين يؤدون الزكاة بنسبة اثنين ونصف بالمائة من إيراداتهم السنوية في شهر رمضان من كل عام.

الشيخ سالم: هذا صحيح يا عزيزي وهذه النسبة قد حددها النبي ﷺ، في العام الثاني للهجرة، **بربع العُشْرِ**، أي ما يعادل اثنين ونصف بالمائة، حسبما رأى أنه كان يناسب الزمان والمكان اللذين عاش فيهما. والمسلمون يؤدُّونها اليوم على أنها صدقة، فمنهم من يدفعها إلى بيوت أو صناديق الزكاة حيث وجدت، أو إلى جمعيات خيرية أو مؤسسات اجتماعية يثقون بها، ومنهم من يوزعها بمعرفته. بينما كانت، أيام النبي ﷺ، تؤدّى إلى «بيت مال المسلمين»، الذي أصبح فيما بعد، أحد مؤسسات الدولة الإسلامية، بدءًا بدولة الخلفاء الراشدين.

عبد الله: ولماذا لا تُنظِّمُها، المراجع الدينية في كل دولة؟

الشيخ سالم: في اقتراحك هذا قد تصبح الزكاة نوعًا من الضرائب، وهذا بالتالي يوجب سنّ قوانين خاصة بذلك حسب دساتير الكثير من الدول. ولكنّه يجوز في الدولة التي، إن وُجِدت، تطبق نظامًا اقتصاديًّا مستخلصًا من آيات القرآن الكريم. وفي حدود علمي لا يوجد مثل هذه الدولة في حاضرنا.

عبد الله: ولكنّي سمعت أنّ الحُكم في أفغانستان هو حسب الشريعة الإسلامية.

الشيخ سالم: الشريعة التي يدّعون تطبيقها، يا عزيزي، لا أستطيع وصفها بالإسلامية لأنها مستقاة من أحد مذاهب فقهاء السنّة، كما أعلم. فهل سيقبل بها أتباع سائر المذاهب الإسلامية المتعددة أو أي منهم؟ أمّا النظام الاقتصادي الذي عنيتُه، فيجب أن يكون مستخلصًا من آيات القرآن الكريم وحدَها، ويمكن لأي باحثٍ متبحرٍ، أن يجدَ في مضامينها نظامًا اجتماعيًّا اقتصاديًا متكاملًا، ينقصه بعضُ الدقائق التي تَرْطَبت بالأزمنة والأمكنة[1].

عبد الله: ومن هم الذين يتوجب عليهم تأديتها؟

الشيخ سالم: هي واجبة الأداء على كل مسلم، عاملٍ منتجٍ، كلّ حسب إمكانياته: **﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾** (الطلاق 7).

عبد الله: وهل تستحق على الأرباح أم على الإيرادات؟

الشيخ سالم: يقول ﷻ: **﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ**

---

[1] وقد تمكنت، بعونه تعالى، أن استخلص مثل هذا النظام، من آيات القرآن الكريم، وبينته في كتابي: «الاقتصاد في القرآن الكريم» - 2007 – بيروت - لبنان.

مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأنعام 141). ومن قوله: **﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾**، أفهم أن الزكاة تستحق على الإنتاج.

عبد الله: ومتى يستحق أداؤها؟

الشيخ سالم: قد تكون سنوية أو موسمية، استنادًا إلى قوله: **﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾**، في الآية (141 - الأنعام) السابق ذكرها، إذ إن الحصاد، أو قطاف الثمر، قد يكون مرة واحدة، أو مرتين أو أكثر، في السنة الواحدة. ولكن جرت العادة أن يؤديها المسلمون في شهر رمضان من كل عام، كما سبق وقلنا.

عبد الله: وعلى أي أساس تحدد قيمتها؟

الشيخ سالم: يقول تعالى: **﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾** (الذاريات 19)، - **﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾** (المعارج 24 و25). وفي قوله: **{في أموالهم حقٌ مَعْلُومٌ}** فإن كلمة **{حق}** تعني **{جُزء منها}**. وبما أنّ هذا الجُزء لم تحدد قيمته فإننا نفهم أنها، أي الزكاة، تكون نسبية، ومن دون تحديدها.

عبد الله: ومن هم المستفيدون من أموالها؟

الشيخ سالم: الذين تجوز عليهم الصدقات هم المذكورون في الآيتين التاليتين:

- **﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ[1] وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ[2] وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾** (التوبة 60)،
- **﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ...﴾** (البقرة 177).

وفي تفسير الجلالين للآية (التوبة 60) المذكورة آنفًا، بيان لهؤلاء المستفيدين: «**﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ﴾** الزكوات مصروفة **{لِلْفُقَرَاءِ}** الذين لا يجدون ما يقع موقعا من كفايتهم **{وَالْمَسَاكِينَ}** الذين لا يجدون ما يكفيهم **{وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا}** أي الصدقات من جابٍ وقاسم وكاتب وحاشر **{وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ}** لـيُسلِموا أو يثبت إسلامهم أو يُسلم نظراؤهم أو يذبوا عن المسلمين... **{وَفِّي}** فك **{ٱلرِّقَابِ}** أي المكاتبين **{ وَالْغَارِمِينَ}** أهل الدَّين إن استدانوا لغير معصية، أو تابوا وليس لهم وفاء،

---

[1] «الفَقِير الذي له بُلْغَةٌ من العيش؛ والمسكين الذي لا شيء له. وقال يونس: الفَقِير أحسن حالًا من المسكين. قال: وقلت لأعرابي مرةً: أَفَقِير أنت؟ فقال: لا والله بل مسكين؛ فالمسكين أسوأ حالًا من الفَقِير». (لسان العرب لابن منظور).

[2] قال الزجاج: الغارمون هم الذين لَزِمَهم الدَّيْنُ في الحَمالة، وقيل: هم الذين لزمهم الدَّيْنُ في غير معصية.

أو لإصلاح ذات البين ولو أغنياء **{وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ}** أي القائمين بالجهاد ممن لا فيء لهم ولو أغنياء **{وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ}** المنقطع في سفره». وتضيف عليهم الآية (البقرة - 177): **{ذوي القربى**[1] **واليتامى والسائلين**[2]**}**.

عبد الله: ومن هم المكاتبون؟

الشيخ سالم: المكاتبة هي اتفاق بين السيد ومملوكه يتعهد فيه هذا الأخير بأن يدفع لسيده مبلغًا من المال، تحدد قيمته ونوعه بالتراضي بينهما، في مدة من الزمن يتفق عليها أيضًا مسبقًا، وعند إيفاء هذا المملوك بتعهده يصبح حرًا. ولها دورٌ مهمٌ في القضاء على الرقّ. وفي تفسير الجلالين: إنها " أمانة وقدرة على الكسب لأداء مال الكتابة وصيغتها مثلًا «كاتبتك على ألفين في شهرين كل شهر ألف، فإذا أدّيتَها فأنت حرّ» فيقول «قبلت». وللمكاتبة دورٌ مهمٌّ في القضاء على الرقِّ[3].

عبد الله: ومن هم المكلفون بجمعها؟

الشيخ سالم: هم**: النبي** ﷺ**، وأولي الأمر من بعده** من قوله ﷻ: **{خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا...}** (التوبة 103). ومن هذه الآية نفهم أن الزكاة تدفع للنبي، ﷺ. وفي قوله **{خذ من أموالهم}** أمر قاطع وواجب على النبيّ ﷺ، لتحصيل أموال الزكاة بالطرق المناسبة، باعتبارها فرضًا

---

[1] الأقرباء.

[2] الطالبين بداعي الحاجة.

[3] (راجع ص. 166 من كتابنا – الاقتصاد في القرآن – 2007 – بيروت – لبنان).

واجبًا على كل مسلم تأديتها، ولو قسرًا، ولتنفيذ أمره تعالى من دون توانٍ. ومن بعد النبي ﷺ، يكون **أولو الأمر**، الذين تجب علينا طاعتهم، هم المولجون بجمع هذه الأموال. وذلك عملًا بقوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ...﴾** (النساء 59).

وكما ذكرنا سابقًا، فقد كانت أموال الزكاة هذه تؤدّى إلى «بيت مال المسلمين» في زمن النبي ﷺ، وزمن الخلفاء من بعده. أما في أيامنا هذه وعلى الرغم من عدم اعتماد نظام الزكاة، في كثير من الدول الإسلامية، إذا لم نقل في جميعها، وبالإضافة إلى ما يدفعونه من الضرائب التي تفرضها عليهم حكومات البلاد التي يعيشون فيها، فإننا نرى المسلمين يؤدونها عن طيب نفس، وكلٌّ حسب قدرته، وانطلاقًا من الإيمان بعقيدتهم، ورغبة في الحصول على الأجر الذي وعدهم الله به، عملًا بقوله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾** (البقرة 277). كما أنّ الكثير منهم وبالإضافة إلى الزكاة، فنراهم يتصدقون وينفقون في سبيل الله، وأعمال الخير، سرًّا وعلانيةً، كل قدر استطاعته، عملا بقوله تعالى: **﴿قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ يُقِيمُواْ الصَّلَاةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خِلاَلٌ﴾** (إبرهيم 31). وهكذا تكتمل أسس نظام تكافل اجتماعي، يطبقه المسلمون بطيبة نفس، انطلاقًا من إيمان يملأ أنفسهم، لا خوفًا من غرامات قد تفرضها عليهم القوانين الوضعية.

وإن لم يكن لديك أي سؤالٍ أو استفسار آخر، يا عبد الله، فتحضرني رواية قرأتها في أحد الكتب، عن الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز، أرغب في أن أرويها لك، ختامًا للقائنا هذا اليوم.

عبد الله: لقد شوقتني إلى سماعها أيها الشيخ الجليل.

الشيخ سالم: تقول الرواية: «أما عمر فقد استطاع... أن ينظم التكافل والصدقات تنظيمًا رائعًا فيجتث به الفقر من جذوره، فقد أمر أن يقسم الأغنياء إلى مجموعات، وعهد بكل مجموعة إلى عاملين يجبيان الزكاة منها ويقسمانها فورًا بأمر الوالي على فقراء البلد من الأحياء والمحلات حتى قضى على الفقر وأغنى الناس. حدّث يحيى بن سعد، قال: بعثني عمر على صدقات إفريقية فاقتضيتها، وطلبت فقراء نعطيها لهم فلم نجد بها فقيرًا، ولم نجد من يأخذها قد أغنى عمر الناس.[1]»

ومعلومٌ، يا عبد الله، أن مدة خلافة عمر بن عبد العزيز كانت فقط سنتين وخمسة أشهر (99 – 101 هـ) وعلى الرغم من قصر ولايته استطاع أن يقضي على الفقر. حبذا لو رأينا، في العالم الإسلامي بعامة والعربي بخاصة، مسؤولًا واحدًا، يتشبه بهذا الخليفة الذي سُمِّي بحقّ، خامس الخلفاء الراشدين.

---

[1] (راجع ص 53 من كتاب عمر بن عبد العزيز في الحكم والاقتصاد والقضاء – للدكتور محمد علي ضناوي الطبعة الثالثة 1425 هـ = 2004 م طرابلس- لبنان.)

وليذكروا قول الشاعر: «إن التشبه بالكرام فلاح». وفي الأسبوع القادم سنتحدث في فريضة الصيام، إن شاء الله.

عبد الله: إنها حقًّ رواية معبرة، شكرًا وإلى اللقاء القادم إن شاء الله.

اللقاء التاسع
الصيام

في البداية سأل الشيخ سالم، ضيفه عما إن كان لديه أي سؤال عن موضوع الزكاة.

فأجابه **عبد الله**: لا، سيدي الكريم، لقد كان حديثك عن الزكاة في لقائنا السابق، في غاية الوضوح.

الشيخ سالم: إذًا، سنتحدث اليوم عن الصيام.

لقد فرض الله ﷻ، على المسلمين الصيام، وبين لنا قواعده الأساسية، في الآيات التاليات:

- **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ* أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ*﴾.** (البقرة 183 – 185).
- **﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُواْ مَا**

كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (البقرة 187)

في الصيام أيضًا، كثير من التفاصيل لم تلحظها آيات القرآن الكريم، تولّى النبي ﷺ، إيضاحها في أحاديث وصلت إلينا في كتب التراث[1].

أولًا: من الآيات السابقة، نفهم التالي:

1 - كما فرض الله الصيام في اليهودية والمسيحية، كذلك فرضه على المسلمين، وحدده في شهر رمضان من كل عام، يمتنعون في أيامه عن الطعام والشراب والمجامعة، من الفجر إلى الليل. وعن النبي ﷺ: «**إذا كانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلا يَرْفُثْ يَوْمَئِذٍ، وَلا يَصْخَبْ، فإنْ سابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قاتَلَهُ أَحَدٌ، فَلْيَقُلْ إنّي امْرُؤٌ صائِمٌ**»[2]. كما أننا نجد واجب الصيام في بعض الديانات غير السماوية، كالهندوسية مثلا.

2 – من أفطر بسبب المرض أو السفر، فعليه صيامُ بديلٍ عن الأيام التي لم يصُم فيها، في الشهر أو الأشهر التالية.

---

[1] وقد أعانني الله ﷻ، على وضع شروطٍ إضافية عن المعمول بها للتحقق من صحتها، في كتابي، (أحاديث الرسول ﷺ، بين الصحيح والمنحول - عمان – 2021).

[2] أخرجه الإمام أحمد

3 – من لا يستطيع الصيام، لأي سبب ما فعليه فديةٌ، طعام مسكينٍ عن كل يوم.

4 – تجوز للزوجين، المجامعة، ليلة الصيام. ولا تجوز للعاكفين في المساجد.

5 – بما أنّ الغالبية العظمى لدول العالم، تتبع التقويم الشمسي، وأن التقويم القمري يستند على دوران القمر حول الأرض، فعلينا التحقق من بداية ونهاية شهر رمضان، تاسع الأشهر القمرية، لبدء وإتمام واجب الصيام.

ثانيًا: من التفاصيل التي أمر بها النبي ﷺ، أو نهى عنها، نفهم ما يلي:

1 – غروب الشمس هو موعد الإفطار، قال رسولُ الله ﷺ: **«إذا أقْبلَ الليلُ مِن ها هنا، وأدْبرَ النهارُ مِن ها هنا، وغَرَبَتِ الشمسُ، فقد أفطَرَ الصائمُ»**[1].

2 – أمر النبيُّ ﷺ، بالسحور: **«تَسَحَّرُوا، فإنَّ في السَّحُورِ بَرَكةً»**[2].

3 – كما أمر بتأخير السحور وتعجيل الفِطر، بقوله ﷺ: **«إِنَّا مَعْشَرَ الْأَنْبِيَاءِ أُمِرْنَا أَنْ نُؤَخِّرَ سُحُورَنَا، وَنُعَجِّلَ فِطْرَنَا، وَأَنْ نُمْسِكَ بِأَيْمَانِنَا عَلَى شَمَائِلِنَا فِي صَلَاتِنَا»**[3]. وقوله أيضًا: **«لاَ يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الْفِطْرَ»**[4].

---

[1] أخرجه البخاري.
[2] أخرجه البخاري.
[3] أخرجه ابن حبان.
[4] أخرجه مسلم.

4 – وأمر أيضًا بعدم الوصال[1] في الصيام، يومين أو ثلاثة أو أكثر. عنهُ ﷺ أنه قال: «**لا تُواصِلوا، فأيُّكم إذا أرادَ أن يُواصِلَ فلْيُواصِلْ حتّى السَّحَرِ**»[2].

5 – وكما يطلب من المصلّي النية قبل البدء بالصلاة، فهي مطلوبة من الصائم أيضًا، حسب قول رَسُولَ الله ﷺ: «**مَنْ لَمْ يُجْمِعِ[3] الصِّيَامَ قَبْلَ الْفَجْرِ فَلاَ صِيَامَ لَهُ**»[4]. ويضيف ﷺ أيضًا قائلا: «**مَن أصبَحَ مُفطِرًا فلْيُتمَّ بقيةَ يومهِ، ومَن أصبحَ صائمًا فلْيَصُم**»[5].

6 – والأيام التي نهى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عن صيامها، هي:

- يومٌ أو يومان قبل حلول شهر رمضان. بقوله ﷺ: «**لا يَتقدَّمنَّ أحدُكم رمضانَ بصومِ يومٍ أو يومَينِ إلاّ أن يكونَ رجُلٌ كان يصومُ صومَهُ فلْيَصُمْ ذلك اليومَ[6]**»[7].
- وعن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رضى الله عنه - أنه قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ نَهَاكُمْ عَنْ صِيَامِ هَذَيْنِ

---

[1] الوِصال في الصوم وهو أَن لا يُفْطِر يومين أَو أَيامًا، (لسان العرب).
[2] أخرجه البخاري.
[3] الإجماع، إحكام النية والعزيمة.
[4] أخرجه أبو داود.
[5] أخرجه البخاري.
[6] أي لا يتقدم رمضان بصوم يوم يعد منه بقصد الاحتياط له فإن صومه مرتبط بالرؤية فلا حاجة إلى التكلف. (فتح الباري شرح صحيح البخاري).
[7] أخرجه البخاري.

الْعِيدَيْنِ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَيَوْمُ فِطْرِكُمْ مِنْ صِيَامِكُمْ وَأَمَّا الآخَرُ فَيَوْم تَأْكُلُونَ نُسُكَكُمْ[1].» [2].

7 – ولم يكن عبثًا، قوله ﷻ: **﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾**[3]، وقول رسوله ﷺ: **«قال الله: كلُّ عملِ ابنِ آدمَ لهُ، إلاّ الصِّيامَ فإنهُ لي وأنا أجْزي به، والصِّيامُ جُنَّة[4]، وإذا كانَ يومُ صومِ أحدِكم فلا يَرفُثْ ولا يَصخَب، فإن سابَّهُ أحدٌ أو قاتَلهُ فلْيَقُلْ إني امرؤٌ صَائِم»**[5]؛ بل أرى فيهما لفت نظرنا إلى فضائل ومنافع الصيام. ومما خبرناه، ومن المراجع الحديثة، أرى أنّ له منافع متعددة، **روحية، ونفسية، وجسدية، واجتماعية** .

أ - المنافع الروحية:

- **تقوية العلاقة مع الله:** الصيام عبادة خالصة تُقرب العبد من ربه.
- **تعويد النفس على التقوى**: قال تعالى" *لعلّكم تتّقون*"، فالصيام يساعد على تهذيب النفس وترك المعاصي.
- **الإخلاص**: فالصيام عبادة سرّية لا يراها أحد، يُعزز الإخلاص في القلب.

ب - المنافع النفسية:

---

[1] عيد الأضحى.
[2] أخرجه البخاري.
[3] (البقرة 184)
[4] الـجُنَّةُ: الوِقايةُ. (لسان العرب).
[5] أخرجه البخاري.

- **ضبط النفس**: إذ يتدرب الصائم على التحكم في شهواته وغضبه وسلوكياته.
- **تعزيز الصبر**: الصيام يُعلّم الصبر على الجوع، والعطش، والابتعاد عن المحرمات.
- **صفاء الذهن**: يشعر كثيرون براحة نفسية وتركيز ذهني أكبر إبان الصيام.

ج - المنافع الجسدية – الصحية:

- **تحسين وظائف الجهاز الهضمي**: إذ يعطي الصيام فرصة للراحة وإعادة التنظيم.
- **خفض ضغط الدم والسكر والكوليسترول**: خصوصًا عند الصيام بطريقة صحية.
- **تحفيز عملية حرق الدهون**: الصيام المتقطع (في رمضان وغيره) يساعد على تحسين الأيض. والأيض هو «عملية يحول فيها الجسم الطعام والشراب إلى طاقة.»
- **تعزيز عمليات التجدد الخلوي:** تشير دراسات حديثة إلى أن الصيام قد يعزز عملية تنظيف الجسم والخلايا من السموم.

د - المنافع الاجتماعية

- **تعزيز التكافل الاجتماعي**: إذ يشعر الصائم بمعاناة الفقراء، ما يدفعه للعطاء والصدقة.
- **الاجتماع والتواصل**: يكثر في رمضان التواصل العائلي والاجتماعي على موائد الإفطار.

- **نشر روح الرحمة**: ينتشر التسامح والتراحم بين الناس.

عبد الله: هل لي أن أسأل، عن منزلة شهر رمضان، بين أشهر السنة، حتى يكون شهر الصيام؟

الشيخ سالم: بل هو سؤالٌ مهمٌّ جدّا. أجل يا عزيزي، فيمتاز شهر رمضان، بأن ليلة القدر هي إحدى لياليه، وفيها أنزل الله القرآن، كما في قوله ﷻ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ* لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ (القدر 1 - 5).

ويقول رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَتَاكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ مُبَارَكٌ فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ لِلَّهِ، فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ**»[1]. والمقصود: حُرِمَ خيرَها.

عبد الله: منذ أن بدأت أدرك ما يجري حولي، وأنا أرى الناس منهمكين ينتظرون معرفة بدء فترة الصيام ونهايتها. ألا ترى أن تحديد أوقات ولادات الأهلّة، كما هو معمولٌ به، يسبّب الكثير من الإرباك للمسلمين جميعًا؟ كما يُظهرهم متفرّقين مختلفين في تحديد بداية ونهاية شهري رمضان وشوّال مثلا في كل عام؟

[1] أخرجه النسائي.

وفي معظم السنين نرى أنَّ كلًا من الأقطار الإسلامية يعلن، على حدة، ولادة هلالي هذين الشهرين. وقد يحصل هذا أحيانا فيما يخصُّ هلال ذي الحجّة أيضًا.

الشيخ سالم: هذا صحيح يا عزيزي لأنهم، منذ فُرض الصيام وهم يعتمدون على رؤية هذين الهلالين، بالعين المجردة، عملًا بما جاء عن النبيُّ ﷺ، أنه قال:

- **«صُوموا لِرُؤْيتهِ وأفطِروا لرُؤيته، فإن غُبِّيّ عليكم فأكملوا عِدَّةَ شَعبانَ ثلاثين»**[1].
- و**«إذا رَأيتُموهُ فصوموا، وإذا رأَيتُموهُ فأفطِروا. فإن غُمَّ عليكم فاقْدُرُوا له»**[2].

ولكنّ، لست أدري لماذا تتمسك المراجع الدينية بالاعتماد على الرؤية بالعين المجردة، على الرغم من اعترافهم بصحة التقنيات العلمية الحديثة، وبخاصة في أمور الفلك. كما أنّ «الرؤية» لا تكون بالعين المجردة فقط، إذ يقول ابن منظور، في «لسان العرب»، في معاني «الرؤية»: «واحدًا منها من رُؤْية العَيْنِ كقولك كما تُبْصِر، والآخر من رُؤْية القَلْبِ في معنى العلم فيصير كقولك كما تَعْلم، والثالث من رأَيْت التي بمعنى الرَّأْي الاعتقاد... فتكون ما ترى مرة رؤية العين، ومرة مَرْئِيًّا، ومرة عِلْمًا ومرة مَعلومًا، ومرة مُعْتَقَدًا. وقوله تعالى: **﴿مَا كَذَبَ**

---

[1] أخرجه البخاري.

[2] أخرجه البخاري.

الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾[1]؛ يقول: ما كَذَبَ فؤَادُ محمدٍ ما رَأَى؛ يقول: قد صَدَقَه فُؤَادُه الذي رأَى). وفي القاموس المحيط للفيروزابادي: (الرُؤْيَةُ: النَّظَرُ بالعَيْنِ وبالقَلْبِ).

ويخاطب تعالى نبيه الكريم ﷺ، قائلا: **﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾** (الفجر 6)، ولم يكن النبي ﷺ يومها بعد قد ولد، وبقوله أيضًا: **﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾**[2]. وأصحاب الفيل، كما نعلم، هم أبرهة، ملك اليمن، وجيشه الذين توجّهوا إلى مكّة بهدف هدم الكعبة، وقد سمّي ذلك العام ب «عام الفيل». وقد أجمع المؤرّخون على أنّ مولد النبيّ ﷺ كان في ذلك العام؛ وبالتالي، فهل يمكن له وهو طفل حديث الولادة أن يرى عِيانًا ما فعل تعالى بهم؟ وعليه تكون الرؤية جائزةً أيضًا، بالعلم يقينا بذلك الحدث.

عبد الله: هل الفِطر واجب على المسافر؟

الشيخ سالم: بما أنه لم يرد في القرآن الكريم، نصٌّ في ذلك، فأرى أنه يجوز في السفر الصيام أو الفطر. وقال ابنِ عبّاسٍ: «قد صامَ رسولُ الله ﷺ وأفطَرَ، فمَن شاءَ صامَ ومَن شاءَ

---

[1] (النجم 11).
2 (الفيل 1).

أفطَرَ»[1]. وعن أنسِ بنِ مالكٍ قال: «كنّا نُسافِرُ معَ النبي ﷺ، فلم يَعِبِ الصَّائمُ على المفطِرِ، ولا المفطِرُ على الصَّائمِ»[2].

عبد الله: وما المقصود بـ «الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ»؟

الشيخ سالم: عن رسولِ الله ﷺ، أنه قال: «**إنما ذلكَ سَوادُ الليلِ وبياضُ النهار**»[3].

عبد الله: لقد قلتَ لي، أيها الشيخ الجليل، في موضوع الصلاة، وجوب الاغتسال بعد المجامعة، فهل هذا واجب أيضًا على الصائم؟

الشيخ سالم: عن عائشةُ، زوج رسولِ الله ﷺ: «كان النبيُّ ﷺ يُدرِكُهُ الفَجرُ جُنُبًا في رَمضانَ مِن غيرِ حُلُمٍ فيَغْتَسِلُ ويَصوم»[4].

عبد الله: وماذا عن الحائض؟

الشيخ سالم: وعن عائشة أيضًا أنها قَالَتْ: «كَانَ يُصِيبُنَا ذلِكَ فَنُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصَّوْمِ وَلاَ نُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصَّلاَةِ»[5].

---

[1] أخرجه البخاري
[2] أخرجه البخاري
[3] أخرجه البخاري
[4] أخرجه البخاري
[5] أخرجه مسلم.

عبد الله: في حال نسي الصائم وأكل، فماذا عليه أن يفعل؟

الشيخ سالم: أعود وأذكرك، يا عزيزي، أن التيسير من مميزات ديننا. والجواب على سؤالك، هو في قول النَّبِيُّ ﷺ: **«مَنْ أَكَلَ نَاسِيًا وَهْوَ صَائِمٌ فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ، فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللَّهُ وَسَقَاهُ»**[1]. وقال أيضًا: **«مَنْ أَفْطَرَ فِي رَمضانَ نَاسِيًا فَلا قَضاءَ عَلَيْهِ وَلا كَفَّارَةٌ»**[2].

وبالإضافة إلى ذلك قال رسول الله ﷺ: **«من ذرعه[3] القيء فليس عليه قضاء، ومن استقاء[4] فليقضِ»**[5].

وأظنّ يا عبد الله، أنني قد أوضحت لك، بإيجاز موضوع الصيام؟ فهل لديك بعد أيّ استفسار أو سؤال؟

عبد الله: لا يحضرني الآن أيّ، أيُّ سؤال آخر، شكرًا سيدي الكريم وإلى اللقاء في الأسبوع القادم إن شاء الله.

الشيخ سالم: إلى اللقاء، وستكون فريضة الحج، موضوع حديثنا في اللقاء القادم، بإذنه تعالى.

---

[1] أخرجه البخاري.
[2] في المستدرك
[3] أي سبقه وغلبه في الخُروج.
[4] استقاء، تعمد القيء.
[5] أخرجه الإمام أحمد.

اللقاء العاشر

الحجُّ والعُمرة

في البداية، سأل الشيخ سالم، عبد الله، إن كان لديه أيّ استفسار في الموضوعات السابقة. فأجابه بالنفي والشكر.

فقال **الشيخ سالم**: إذًا، سننتقل إلى فريضة الحجّ.

يقول الله ﷻ: **﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾** (آل عمران 96 - 97).

لن أدخل، يا عزيزي، في تفاصيل مناسك الحج، لأن الدولة السعودية ومنظمي «حملات الحجيج»، يتبعون مسارات محددة، ولذا فسأكتفي بتبيان موجز لها، كما استخلصته من آيات القرآن الكريم المتعلقة بموضوع الحج[1]، أو من الأحاديث المنسوبة إلى النبي ﷺ[2].

الحجُّ هو زيارة بيت الله الحرام في مكّة، وهو فريضة، ولكنها ليست واجبة الأداء على جميع المسلمين، بمعنى أنّها ليست واجبة على من لديه ما يعيقه أو يمنعه من ذلك، سواء صحيًا

---

[1] ومن أراد الاطلاع على الآيات الخاصة بموضوع الحجّ والعُمرة، فليرجع إلى كتابي: (دليل الموضوعات في آيات القرآن الكريم – 2001 – بيروت).

[2] ومن يرغب في الاطلاع على أحاديث الرسول ﷺ، في موضوع الحج والعمرة، فليرجع إلى الصفحة 112 وما يليها من كتابي (صفوة أحاديث الرسول ﷺ، - 2024 – بيروت)

(جسديًّا أو عقليًّا) أم ماديًّا[1]، من قوله، ﷻ، في الآية السابقة، (آل عمران97): ﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**﴾. وهذه الزيارة يمكن أن تتم بالعُمرة أيضًا. وقد تكون، بالحج فقط من دون عمرة؛ أو بالجمع بين الحج والعُمرة بنيّةٍ واحدة، مع تفضيل أداء العمرة أولًا ثم التحلل من الإحرام، ثم أداء الحج في وقته.

هذا ويجوز لصاحب الإعاقة الجسدية، أن يُنيب عنه شخصا آخر في إداء مناسك الحج، شرط أن يكون هذا الأخير قد حجَّ عن نفسه أولا. فعن إمكان نيابة شخصٍ في الحج عن غيره، يروى أن امرأة سألت النبي ﷺ، «فقالت: يا رسول اللهِ إن فريضةَ اللهِ على عبادهِ في الحجِّ أدرَكَتْ أبي شيخًا كبيرًا لا يَثْبُتُ على الراحلةِ، أفأحُجُّ عنهُ؟ قال: «**نعم**»[2].

وعن الشرط في أن يكون ذلك الشخص قد حجّ عن نفسه أولًا، فيروى «أَنَّ النَّبيَّ ﷺ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ لَبَّيْكَ عن شُبْرُمَةَ، قالَ مَنْ شُبْرُمَةُ؟ قالَ: أخٌ لِي أوْ قَرِيبٌ لِي. «**قَالَ حَجَجْتَ عن نَفْسِكَ؟**» قالَ لاَ، قالَ: «**حُجَّ عن نَفْسِكَ ثُمَّ حُج عن شُبْرُمَةَ**»[3].

كذلك يجوز الحجّ عمن نوى الحج ومات قبل أن يحجّ. وعن النبيِّ ﷺ أن جاءته امرأة فقالت: إنَّ أمِّي نَذَرَتْ أن تحُجَّ فلم تَحجَّ

---

[1] وهم المعسر، ومن عليه دين، ومن لا يملك المال الفائض عن حاجات عائلته والكافي لتغطية قيمة تكاليف حجّته.

[2] أخرجه البخاري.

[3] أخرجه أبو داود.

حتّى ماتَتْ، أفأحُجُّ عنها؟ قال: «**نعم حُجِّي عنها، أرأَيتِ لو كان على أُمِّكِ دَيْنٌ أكنتِ قاضِيَتَهُ؟ اقْضوا اللهَ، فاللهُ أحقُّ بالوفاء**»[1].

أوقات مناسك الحج الأساسية هي من يوم 8 ذي الحجة (يوم التروية) حتى 13 ذي الحجة.

أهم مناسك الحج:

الإحرام: يبدأ فور النيّة بذلك، وفي أمكنة محددة حسب جهة القدوم.

الطواف :طواف القدوم حول الكعبة.

السعي :بين الصفا والمروة.

يوم التروية (8 ذي الحجة) :الذهاب إلى منى والمبيت فيها.

يوم عرفة (9 ذي الحجة) :الوقوف بعرفة من بعد الزوال حتى غروب الشمس (أعظم ركن في الحج).

المبيت بمزدلفة :بعد الإفاضة من عرفة.

يوم النحر (10 ذي الحجة):

- رمي جمرة العقبة الكبرى.
- ذبح الهدي (للمتمتع والقارن العمرة والحج).
- الحلق أو التقصير.
- طواف الإفاضة.

[1] أخرجه البخاري.

أيام التشريق (11-13 ذي الحجة):

- المبيت بمنى.
- رمي الجمرات الثلاث كل يوم.
- **التلبية**: «**لَبَّيْكَ اللّهمَّ لبَّيك، لبَّيكَ لا شريكَ لكَ لبَّيكَ، إنَّ الحمدَ والنعمةَ لكَ والملكَ، لا شَرِيكَ لكَ**»[1].

طواف الوداع :آخر ما يفعله الحاج قبل مغادرته مكة.

الممنوع أيام الإحرام:

- لَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ. (البقرة 197)
- ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ ... وحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾. (الحج 96)
- ﴿وَلاَ تَحْلِقُواْ رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾ (البقرة 196)

فضائل الحج:

- يمحو الذنوب؛ قال النبي ﷺ: «مَن حَجَّ هذا البيتَ فلم يَرْفُثْ ولم يَفْسُقْ، رجَعَ كما ولَدَتْهُ أمُّه»[2].
- من أعظم العبادات التي يتقرب بها العبد إلى ربه.
- فيه اجتماع عظيم للمسلمين وتوحيد للكلمة والمظهر. وأرى أنه بمثابة مؤتمرٍ سنويٍّ جامع.

---

[1] أخرجه البخاري.

[2] أخرجه البخاري.

الفرق بين الحجِّ والعُمرة:

أولاً: في التعريف

- **الحج**: زيارة بيت الله الحرام لأداء مناسك خاصة في وقت محدد.
- **العمرة**: زيارة بيت الله الحرام لأداء الطواف والسعي والحلق أو التقصير، من دون تقيد بوقت معين.

ثانيًا: من حيث الحكم الشرعي

- **الحج**: فريضة واجبة الأداء على المسلم القادر مرة واحدة في العمر.
- **العمرة**: سنّة مؤكدة عند الجمهور، ولكنها ليست فرضًا واجب الأداء.

ثالثًا: من حيث الوقت

- **الحج**: له وقت محدد في السنة (من 8 إلى 13 ذي الحجة).
- **العمرة**: يمكن أداؤها في أي وقت من السنة.

رابعًا: المدة الزمنية

- **الحج**: يستغرق عدة أيام (5 أيام غالبًا ويمكن التعجل في يومين).
- **العمرة**: يمكن أن تتم في بضع ساعات.

خامسًا: الهدي (الذبح)

- **الحج**: الهدي مطلوب في حج التمتع أو القران.
- **العمرة**: لا يُطلب فيها الهدي.

لباس المحرم وما يباح له فعله

عن النبي ﷺ: «**لا تَلبَسوا القميصَ ولا السَّراويلاتِ**[1] **ولا العَمَائِمَ ولا البَرَانِسَ**[2]، **إلاّ أن يكونَ أحدٌ ليستْ له نَعلانِ فلْيَلبَسِ الخُفَّينِ ولْيَقطَع أسفلَ منَ الكَعبَينِ. ولا تَلبَسوا شيئًا مَسَّهُ زَعفَرَانٌ ولا الوَرسُ**[3]. **ولا تَنتَقِبِ المرأةُ المُحرِمةُ، ولا تَلبَسُ القُفَّازَين**»[4].
فأظنُّ، يا عبد الله، أنني، وانطلاقًا مما قلتُه في بداية لقائنا هذا، أكون قد بينت أسس فريضة الحجِّ، والعُمرة. فهل لديك أي سؤال أو استيضاح؟
عبد الله: لا، أيها الشيخ الجليل، ليس لدي الآن أيُّ سؤال.

أمور متعلقة بالفرائض
الشيخ سالم: حسنًا، وما دام لدينا بعض الوقت، فسننتقل إلى بعض الأمور التي أرى فيها ارتباطًا بالفرائض. وسأبدأ بأمرٍ ألمحتُ إليه غير مرَّة في لقاءاتنا السابقة، عنيت:

الإسلام دين اليسر:
إن الفرائض مراسم عبادة ليست قصاصا، كي نعاقب إن أخطأنا في تأديتها. فالله رحمن رحيم.

---

[1] سراويلات، جمع سراويل، وهو لباس يغطي النصف الأسفل من الجسم.
[2] جمع برنس، وهو كل ثوبٍ معه غطاء رأس ملتصق به.
[3] نبتٌ أصفر يصبغ به.
[4] أخرجه البخاري.

وفي القرآن الكريم، آيات عديدة توضح لنا ذلك، أكتفي منها بالتالي[1]:

في التيسير:

- **﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾** (البقرة 185).

في عدم تكليفنا فوق طاقاتنا:

- **﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾** (المؤمنون 62)
- **﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾** (البقرة 233)
- **﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾** (البقرة 286)

في قصر الصلاة:

- **﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾** (النساء 101)

في الخطأ غير المتعمد:

- **﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾** (الأحزاب 5)

في الإعاقة الجسدية:

- **﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾** (الفتح 17).

---

[1] ومن يرغب في الاطلاع على الآيات التي تفيد التيسير، فبإمكانه العودة إلى الصفحة (487) من كتابنا، (دليل الموضوعات في آيات القرآن الكريم – 2001 – بيروت – لبنان)

وعن رسول الله ﷺ:

أنه قال: «**يَسِّروا ولا تُعَسِّروا، وبَشِّروا ولا تُنَفِّروا**»[1].

و«**إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاّ غَلَبَه**»[2].

و«**إن الله يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخَصُه، كما يَكره أن تُؤْتى معصيتُه**»[3].

- **في القصر في الصلاة:**

أنّه «**أقامَ بمكةَ تسعةَ عشرَ يومًا يُصلِّي ركعتين**»[4].

في الصيام:

- «**مَنْ أَكَلَ نَاسِيًا وَهْوَ صَائِمٌ فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ، فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللَّهُ وَسَقَاهُ**»[5].
- «**مَنْ أَفْطَرَ في رَمضانَ ناسِيًا فَلا قَضاءَ عَلَيْهِ وَلا كَفَّارَةٌ**»[6].

الضرورات تبيح المحظورات: وبالإضافة إلى ما سبق، فلو عدنا إلى آيات التحريم في الأطعمة، لوجدنا أنه ﷻ، يبيح أكلها عند الضرورة، كما في قوله: ﴿**إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ (البقرة 173).

---

[1] أخرجه البخاري.
[2] أخرجه البخاري.
[3] أخرجه الإمام أحمد.
[4] أخرجه البخاري.
[5] أخرجه البخاري.
[6] في المستدرك

عبد الله: إنّي أرى هذا التيسير رحمةً من الله تعالى، أليس كذلك سيدي الكريم؟

الشيخ سالم: بلى، هذا صحيح، يا عزيزي. وهو ﷻ، القائل: **﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾**. (الأعراف 156).

وأضف أيضًا أنه ﷻ، يقول لرسوله ﷺ: **﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾** (الحجر 49). كما يقبل توبة التائبين: **﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾**. (الشورى 25).

وسنكتفي اليوم بهذا القدر، وإن لم يكن لديك سؤالٌ أو استيضاح، فسيكون «الجهاد في سبيل الله»، موضوع حديثنا في اللقاء القادم، إن شاء الله.

عبد الله: فإلى اللقاء في الأسبوع القادم، بإذن الله.

اللقاء الحادي عشر
الجهاد في سبيل الله

بدأ الشيخ سالم هذا اللقاء، بتلاوة الآية التالية: **﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾**، (الحج 78).

ثم قال: يظنُّ كثيرون أن الجهاد في سبيل الله لا يكون إلّا بالقتال سواء بالسيف أم بغيره، ومن هذا المفهوم جاءت ترجمته إلى اللغات الأجنبية بـ «الحرب المقدسة»، بالفرنسية « Guerre sacrée» وبالإنكليزية «Sacred war»، وهذا ما أراه مغايرًا للواقع، أن لم أقل فيه تجنٍ على ديننا الحنيف.

فمن دراستي لآيات القرآن الكريم المتعلقة بهذا الموضوع، فيمكنني تعريف «**الجهاد في سبيل الله**» بأنه: **{كلُّ ما يقوم به المسلم، بماله أو بنفسه، قولًا وكتابةً وعملًا، في سبيل إعلاء دين الإسلام، وطائعًا الله ﷻ، في كلّ ما أمره به في القرآن الكريم، بالصدق والسلوك الحسن والأخلاق الحميدة}**[1].

وإني أرى أن الجهاد قسمان، دائم ومرحلي:

---

[1] لمن يرغب في التوسع في هذا الموضوع، فليرجع إلى كتابي: (الجهاد في القرآن الكريم – لا قتال بعد وفاة النبي) – الدار العربية للعلوم ناشرون – بيروت – 2018.

الجهاد الدائم: وهو على نوعين: جهاد النفس وجهاد المال:
أولًا، جهاد النفس: وهو في أن يجْهَد المسلم ليكون مسلمًا حقًّا وبكلِّ ما للكلمة من معنًى، حسب تعاليم دينه بحذافيرها، كما جاءت في القرآن الكريم، لا في أداء الفرائضِ فقط، بل والأهم، في السلوك القويم والأخلاق الحميدة والأمانة وإتقان العمل، صادقًا مع نفسه ومع الآخرين، مسلمين كانوا أم غير مسلمين، كما أمره الله ﷻ، ومن دون تعقيدٍ أو تزمّتٍ أو مغالاةٍ أو تعصّبٍ؛ كما في قوله ﷻ: **﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾**، (الممتحنة 8). وعن **رسوله الكريم** ﷺ، **أنه قال**: «**حُسْنُ الْخُلُقِ نِصْفُ الدينِ**»، وبطاعة الله تعالى **أيضًا**، في ما حرَّمه، وبالعمل الصالح **الذي قال عنه** ﷻ: **﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** (النحل 97)، و**﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا﴾**، (فصلت 46).
فلو تقيد المسلمون، يا عزيزي، بهذا السلوك لرأينا المجتمعات الإسلامية صالحةً، آمنة، خاليةً من أيّ نوع من أنواع الفساد البشري.
أما في المجتمعات المختلطة فيصبح المسلم مِثالَ الإنسان القويم والمواطِن الصالح، ما يثيرُ إعجاب غير المسلم، وما قد يوصله، لا إلى التشبه بذاك المسلم وحسب، بل أيضًا إلى اعتناقِ دينه. وهكذا يكون هذا المسلم الصالح، قد ساهم في

إعلاء كلمة الله، التي هي دين الإسلام. وهذا في رأيي هو الجهاد الحقّ والأكبر والأرقى والأسمى، المطلوب من المسلمين عامةً.

أما جهاد «العلماء والمثقفين»، فيكون، بالإضافة إلى ما تقدم، في تعليم وتثقيف وتوجيه وتوعية العامة بجميع الوسائل، كالكتب، بجميع أشكالها، والأفلام السينمائية والتمثيليات المسرحية وما شابه هذا كله وبأشكاله المختلفة. بالإضافة إلى، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما أمرنا ﷻ، في القرآن الكريم، ومن دون إكراه أو تنفير أو تعسير، وبعيدًا عن الغايات الشخصية والخاصة. كما في عدم السكوت عن ظلم وجور الحُكّام. عملا بقول النبي ﷺ: «**أفضل الجهاد كلمة حقٍّ عند سلطانٍ جائر**»[1].

عبد الله: ألا ترى معي، أيها الشيخ الجليل، وعلى الرغم من روعة هذا الطرح، أنّه من المستحيلات؟
الشيخ سالم: لقد منح الله الإنسان، إلى جانب العقل، قوة وإرادة، إن فعّلهما انتفت المستحيلات أمامه. وما طرحتُه، يا عبد الله، قد يكون صعب التحقق، نعم، ولكن، بقدر ما قد نستطيع تحقيقه منه، فسنرتقي بمجتمعاتنا إلى الدرجات العليا في الإنسانية.
عبد الله: أتمنى ذلك من كلّ قلبي. وماذا عن الجهاد بالمال؟

---

[1] أخرجه الإمام أحمد.

ثانيًا، جهاد المال:

الشيخ سالم: جهاد المال، واجبُ على المقتدرين كلٌّ حسب إمكاناته، **﴿لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾** (البقرة 286). ويكون باستثمار أموالهم لإيجاد فرص العمل، وبالصدقات في مساعدة المحتاجين، وبدعم المجاهدين. وهذا لا يعني فقط الذين يقاتلون في سبيل الله؛ بل أيضًا، كلّ من كان عمله أو قوله جهادًا، وبخاصة من العلماء والمثقفين، كمن يحتاج منهم إلى المال لإتمام عمله، كتأسيس المدارس ونشر الكتب القيمة والأعمال الفنية الصالحة، وغيرها. ولا ننسى أن الإنفاق في سبيل الله، واجبٌ على المسلمين، كما أنّ الله ﷻ، سيجزيهم عليه كما في قوله الله ﷻ: **﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾** (البقرة 261).

عبد الله: هذا عن الجهاد الدائم، ولكن ماذا تعني بالجهاد المرحلي؟

الشيخ سالم: الجهاد المرحلي أو الآنيّ، هو ما أراه محصورًا بالقتال فقط، وقد حدد القرآن الكريم له شروطًا، أوضحتها لنا الآيات الخاصة بالجهاد قتالًا[1]، ومنها:

- **﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ﴾** (البقرة 190).

---

[1] وقد صنفتها في الصفحات من 515 إلى 528، من كتابي (دليل الموضوعات في آيات القرآن الكريم – بيروت – 2001).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة 123).
- ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج 39 - 40).
- ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الممتحنة 8 - 9).

فنستخلص من هذه الآيات، شروط هذا الجهاد، كالتالي:

أولًا: أن يكون القتال في سبيل الله، أي لإعلاء كلمته، التي هي دين الإسلام.

ثانيًا: أن يكون بوجه من يقاتل المسلمين في دينهم.

ثالثًا: أن يكون بوجه من يُخرج المسلمين من ديارهم.

رابعًا: ألّا يكون اعتداءً على أحد، كائنًا من كان، بل، لدرء الاعتداء عن المسلمين فقط. أي دفاعًا عن النفس.

خامسًا: أن يدعو إلى هذا القتال من كان ذا صلاحية.

وبالرجوع إلى قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾** (النساء 59)، أفهم من هذه الآية أن الأمر الفصل هو بيد الله تعالى، بما أنزله على رسوله الكريم، الذي له وحده الحق في الدعوة إلى القتال، ما دام حيًّا. أما أولو الأمر فهم الذين يختارهم عموم المسلمين عملا بقوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ..﴾** (الشورى 38)؛ وتبقى صلاحيتهم مقيدة بما أمر به تعالى في آيات القرآن الكريم. ولا أرى صفة **«أولي الأمر»** هذه تنطبق، سوى على الخلفاء الراشدين فقط، لأنهم هم وحدهم الذين تولوا بالشورى، أما بعدهم، فقد أصبحت هذه الولاية تتم بالتوريث.

عبد الله: هل أفهم من هذه الشروط، أنّ الجهاد بالقتال قد انتهى؟

الشيخ سالم: أجل يا عزيزي، أراه انتهى مع وفاة النبي ﷺ، وهذا ما توصلت إليه بعد دراسة القرآن الكريم، وبخاصة الآيات المتعلقة بموضوع الجهاد[1].

---

[1] وقد بينت هذا بالتفصيل وبالبراهين والشواهد، في كتابي: (الجهاد في القرآن – لا قتال بعد وفاة النبي – 2018 الدار العربية للعلوم ناشرون – بيروت.

عبد الله: هذا أمرٌ مهم جدًّا، وقد يكون له دورٌ فعّالٌ في نفي علاقة الإسلام بما قامت وتقوم به ما تسمّى بالمنظمات الجهادية.

الشيخ سالم: بالتأكيد يا عزيزي. فمما يؤسف له أن كثيرين، حتى ممن يدعون العلم والثقافة، مقتنعون أن الله ﷻ، يأمرنا بقتالِ غير المسلمين الدائم، وبقتل من لا يعتنق الإسلام. وبخاصة بعد ما رأوه من الأعمال الإجرامية التي ترتكبها منظمات وتنظيمات وجبهات باسم الإسلام، زاعمين أنه عملًا بآياتٍ من القرآن الكريم، التي يرددونها، إما مجتزأة أو من دون ذكر آيات أخرى ترتبط بها موضوعيًّا وتوضح المعنى المقصود من تلك الآيات. والأشدُّ خطرًا من تلك المنظمات والجبهات هم بعض الذين نصَّبوا أنفسهم «حُماةً» لله ﷻ ولدينه الحنيف، وراحوا يتحفوننا بفتاويهم العجيبة أو المغرضة، من دون أن يعيروا انتباهًا أو اعتبارًا لما يقوله الفقهاء والعقلاء من المشايخ وغيرهم. فلو كلّف هؤلاء «المتعلمون المثقفون»، أنفسهم باعتماد أبسط قواعد المنطق السليم لما وصلوا إلى «اقتناعهم» هذا. فما داموا يؤمنون بالله تعالى وبأن القرآن كلامُه المنزل، ويؤمن معهم ما قد يزيد عن العشرين في المائة من البشر فلِمَ لم يطرحوا على أنفسهم هذا السؤال البسيط: «هل من الممكن أن يناقض الله نفسه، وهو خالق الأكوان وواضع سنن وقوانين الحياة والوجود التي تحكم سير هذه الأكوان وما فيها وعليها بهذه الدقة اللامتناهية»؟

فبالمنطق أقول:

1 - كيف يُحرِّمُ الله القتل ويأمرنا بقتال وقتل غير المسلمين؟ وفي القرآن الكريم ما يزيد عن خمسٍ وعشرين آية تؤكد هذا التحريم[1]. أكتفي منها بقوله، ﷻ: **﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالحَقِّ﴾**. (الإسراء 33).

2 - وكيف ينهى تعالى عن الإكراه في الدين، وهو الذي خاطب رسوله ﷺ، قائلا: **﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِين﴾** (يونس 99)؛ ثم يأمرنا بقتال غير المسلمين حتى يؤمنوا؟

3 - وكيف يكون تعالى «**الرحمن الرحيم**» والذي «**كتب على نفسه الرحمة**»، ثم يأمر بالقتل؟ ولست أدري كم هو عدد المرات التي يقول فيها واحدنا، في اليوم الواحد، «**بسم الله الرحمن الرحيم**»؟

4 – ثم، ألا يقول لنا ﷻ: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾**، (الحجرات 13)؟ فهو يقول: «**لتتعارفوا**» ولم يقلْ: «**لتتقاتلوا**» أو «**لتتذابحوا**». وأين قول النبي ﷺ، الذي كثيرًا ما يتغنى به كثُرٌ من أولئك «**المتعلمون**»: «**بُعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق**»، فهل يكون هذا بالقتل؟

5 - ولنتذكر دومًا قوله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا**

---

[1] راجع (ص 848) من كتابنا، "دليل الموضوعات في آيات القرآن الكريم" - الطبعة الأولى - بيروت - 2001.

وَالصَّـــابِئِينَ وَالنَّصَـــارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْـــرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِـــلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (الحج 17). وبالتالي هو لم يكلِّفْ أحدًا منا، ولا حتى رسـوله الكريم ﷺ، بمحاسـبة الآخرين في ما يؤمنون به، بل حصر هذا الأمر به وحده.

6 – وأُذكِّرهم، بقوله تعالى: **﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَـــابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـــابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِـــخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّـا بِـهِ كُـلٌّ مِّنْ عِنـدِ رَبِّنَـا وَمَـا يَـذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَـابِ﴾**، (آل عمران 7).

7 - يقول كثيرٌ من المفسـرين بأنّ أول ما نزل من الآيات في موضوع القتال كان: **﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْـرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾**، (الحج 39 -40)، وهذا يعني أنه تعالى سمح للنبي وصحبه الذين أوذوا وأُخرجوا من ديارهم، بالقتال لاســـترداد حقوقهم وهذا من قبيل الدفاع عن النفس الذي تقره الشـــرائع والقوانين بمجموعها. والإذن، كالوكالة، يكون عادة لفترة محددة، وإذا طالت هذه الفترة فســـتنتهي حُكمًا مع وفاة من أُذِنَ له. ومن نصوص تلك الآيات نرى أن الأمر فيها كان بيد النبي ﷺ، فستنتهي بالتالي فترة هذا الإذن بوفاته ﷺ. ثم لو أنّ القرآن الكريم قد أباح قتال غير المســـلمين، كما يدعي بعضـهم، فهل كان النبي ﷺ وأصـحابه، كما قلنا سـابقًا، بحاجة

لهذا الإذن كي يقاتلوا مشركي قريش وحلفاءهم؟
فالمشكلة إذًا تكمن في عدم فهمنا الصحيح، لِكُنْهِ ومضمون ما ورد في القرآن الكريم.
عبد الله: كلامٌ سليمٌ ومنطقيٌّ، ولكن، ماذا تقول في الآيات التي فيها أمرٌ بالقتل، وما شابهه؟
الشيخ سالم: سبق لي يا عزيزي، أن بحثت في تلك الآيات، واحدة واحدة، وعدت إلى أسباب وأوقات نزولها، فتبين لي ما سأوجزه الآن باختصار[1]، في ما يلي:
أولًا: إنَّ الآيات التي تحدثت عن القتال والقتل مدنيةٌ في مجموعها، أي أنها نزلت على النبي بعد هجرته هو ومن آمن برسالته، من مكّة إلى المدينة، التي كانت تعرف يومها بـ «يثرب».
ثانيًا: يجمع المؤرخون على أن تلك الهجرة كانت قسرية، إذ أن أشراف قريش، وغيرها من القبائل، أيقنوا أن الخطر على مكانتهم أصبح عظيمًا وداهمًا، فاتخذوا قرارهم بقتل النبي ﷺ. وتُحدثُنا كتبُ التاريخ بالتفصيل كيف هاجر المؤمنون سرًا إلى المدينة، وعن هجرة النبي بعدهم، وعن نجاته هو وأبو بكر، ممن كانوا يقتفون أثرهما بغية قتلهما، بعدما فشلت محاولتهم قتله في مضجعه، لمَّا تبين لهم أنّ الإمام عليًّا، هو من كان

[1] وقد بينت ذلك بالتفصيل في الفصل الخامس – ص 71 وما يليها - من كتابي (الجهاد في القرآن – لا قتال بعد وفاة النبي ﷺ - الدار العربية للعلوم ناشرون – بيروت).

رقدًا، بدلًا عنه، في فراشه.

ثالثًا: بعد وصـول النبي ﷺ إلى المدينة بدأ بتنظيم دولة. وأول وأهم واجبات ومهام الدولة حماية مواطنيها من أي خطرٍ، خارجيًا كان أم داخليًا. وقد كان يسكن في المدينة أيضًا يهود من بني قينقاع، وقريظة، والنضير، وغيرهم وكان اليهود قد أظهروا له العداوة والبغضاء[1]. فكان على النبي ﷺ إذًا أن يجهز المقاتلين لدرء الأخطار من الخارج والداخل. وبالإضافة إلى هؤلاء، ما لبثت أن ظهرت أيضًا بين المسلمين فئة المنافقين[2].

رابعًا: يُجمع المؤرخون أيضًا، على أنّ الرسول ﷺ، منذ بدء بعثته وحتى الهجرة إلى المدينة، في العام 622 م، لم يقاتل ولم يُكرِه أحدًا، على الدخول في الإسلام، بل كان الأمر مقتصرًا على التبشير والإنذار، على الرغم مما تعرض له من أذى من قريش. وقد كان تعالى ينزّل عليه الآيات التي تدعوه إلى الصبر، ومنها: **﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل﴾** (الأحقاف: 35).

فازدياد طغيان أهل مكة، ما أرغمه على هجْرَ داره وبلده، كما أسلفت، جعلهم بالتالي هم البادئين بالاعتداء عليه وعلى

---

[1] لأنهم كانوا ينتظرون نبيًّا يأتي من سلالة إسحق لا من سلالة إسمعيل، الذي هو حال النبي ﷺ.

[2] راجع (ص 89) من كتاب "نور اليقين في سيرة سيد المرسلين" - محمد بن عفيفي الباجوري المعروف بالشيخ الحضري - طبعة 2001 - دار الحديث - القاهرة.

المسلمين الذين خرجوا من ديارهم هربًا من الظلم. فأذِن الله ﷻ، لهم، بقتال مشركي قريش بقوله، في الآيتين (الحج 39 – 40)، المذكورتين سابقًا: **﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾**، ثم أمرهم بقتال من يقاتلهم شرط ألا يكونوا هم البادئون بالاعتداء، في قوله: **﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ﴾**، (البقرة 190).

ولما تمالأ على المسلمين غيرُ أهل مكة من مشركي العرب، وتحالفوا مع أعدائهم، أمر الله بقتال المشركين كافة، ودومًا بألا يكونوا هم البادئين: **﴿وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾** (التوبة: 36). ثم تحقق ﷺ من خيانة اليهود للعهود، بمساعدتهم المشركين في حروبهم، بدل نصرتهم النبي ﷺ والمسلمين حسبما نصت عليه «صحيفة المدينة»[1]، أمر الله تعالى، بقتالهم، بقوله للنبيّ ﷺ: **﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾**،[2] (الأنفال: 58).

---

[1] يمكن الاطلاع على «صحيفة المدينة» في الصفحة (245) من كتابي (الجهاد في القرآن – لا قتال بعد وفاة النبي)، المرجع السابق. والتي نصت على أن لليهود دينهم وللمسلمين دينهم وهم أحلاف إذا حوربوا، وألا يغدر بعضهم بالآخر ولا يُحَارِبه ولا يؤذيه، ولا يعين أحدُهم عليه أحدًا، وإن دهمَهُ بالمدينة عدوٌ ينصرونه.

2 {فانبذ} اطرح عهدهم {إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ} حال، أي مستويا أنت وهم في العلم بنقض العهد بأن تعلمهم به لئلا يتهموك بالغدر. (تفسير الجلالين).

خامسًا: وبالعودة إلى قوله ﷻ: ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا...**﴾ (الحج 39)، المذكورة آنفًا، وهي حسب كثير من المفسرين، هي أول آية، نزلت بعد الهجرة، في القتال، فلو كانت تعاليم القرآن، تسمح بالقتال أو بالقتل، كما يزعمون، فهل كان النبي ﷺ ومن معه يومها، بحاجة إلى الإذن بقتال مشركي قريش ومن معهم؟

سادسًا: وفي تفسير الآية الأولى من سورة النصر: ﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا**﴾ (النصر 1 - 3)؛ يقول الجلالان بأن «الفتح» هو فتح مكة[1]. فلماذا ختم تعالى، سورة النصر هذه، بقوله: ﴿**فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا**﴾؟ يكاد يُجمع المفسرون على أنه نعيٌ لروح النبي ﷺ. ولكن ألا يجوز أن يكون فيه إشارة على انتهاء القتال، عندما يأمره بالتسبيح بحمده، عز وجل، بعد ذلك النصر؟[2]. ثم ألا يجوز أن يكون أمره ﷻ، بالاستغفار هو عن أخطاء ارتُكِبتْ إبّان تلك الحروب التي كان النبي ﷺ قائدها؟

عبد الله: ولكن، كما أعلم، فالقرآن الكريم أنزل لجميع الأمكنة والأزمنة، وبالتالي يجب تطبيق أحكامه على مدى الدهر.

الشيخ سالم: كلامك صحيحٌ بالتأكيد، يا عبد الله، ولا أنكر

---

1 كذلك، في تفسير القرطبي، والنسفي، والفخر الرازي: أن "الفتح هو فتح مكة". (في شهر رمضان من السنة 8هـ - 630 م.)

2 ومن عادات المسلم منذ القدم، أن يحمد الله كلما فرغ من عملٍ ما.

ذلك أبدًا، ولكن يبقى فيه آياتٌ خاصة بالوقت الذي نزلت فيه، ومنها على سبيل المثال:

1 - آيات سورة المسد[1]، الموجهة إلى أبي لهب، وهو عمُّ النبي ﷺ، الذي مات بعد عدة سنوات من نزولها. فعلى من تطبق في أيامنا هذه؟

2 - آيات سورة قريش[2]، التي تتكلم عن رحلتي قريش في الصيف والشتاء. فأين هي قريش ورحلتاها اليوم؟

3 - الآيات الخاصة بنساء النبي ﷺ، فعلى مَنْ مِنَ نساء اليوم تطبق أحكامها؟ ﴿**يَا نِسَاء النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاء...**﴾ (الأحزاب 32) وغيرها.

ومن هذا القبيل ومما استنتجته بالتفصيل في دراسة آيات الجهاد، أقول بأن آيات القتال أيضًا كانت خاصة بتلك الحقبة التي نزلت فيها.

عبد الله: يبقى لدي سؤال واحد، فبماذا تفسر، ما سُمّي «بحروب الردة»، ثم «بالفتوحات»، التي جعلت الدولة الإسلامية، تمتد من حدود الصين، شرقًا، إلى المحيط الأطلسي، غربًا؟

الشيخ سالم: بعد وفاة النبي ﷺ، وتولي أبي بكر الخلافة عمدت بعض القبائل إلى شقّ عصا الطاعة على عماله، فمنها

---

[1] هي السورة رقم (111)، {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ* مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ* سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ...}.

[2] السورة رقم (106) {لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ* إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاء وَالصَّيْفِ..}.

من رفض تأدية الزكاة، ومنها من حاول مهاجمة العاصـــمة، ومنها من أعلن ارتداده عن الإســلام للعودة إلى الحياة القبلية، بالإضــافة إلى من ادعى النبوة؛ كلُّ هذا جعل أبا بكر، بصـفته صـاحب السلطة المركزية، أن يأخذ القرار بالقضـاء على تلك الظواهر فكان ما سُـــمِّي بحروب «الرِّدّة»، التي كانت، في رأيي، واجبًا على الســـلطة الحاكمة، للقضـــاء على النزعة الانفصـالية في دولة حديثة التأسـيس، وهي، أيضًـا، شـبيهٌ بما حدث في الولايات المتحدة الأميركية في القرن التاسـع عشـر عندما أعلنت بعض الولايات الجنوبية انفصالها عن الاتحاد.

ثم بعد انتهاء هذه الحروب، عمّت سلطة الخليفة أراضـي شبه الجزيرة العربية بكاملها، مُنشـــئة دولة عربية فتية ما لبثت أن بدأت تعمل على مد سلطانها، وإن تحت راية الإسلام، على ما جاورها من البلدان، شـأنها شـأن سـائر الدول الفتية القوية، إلى أن بلغت شرقًا حدود الصين وغربًا المحيط الأطلسي وشمالًا بحر قزوين (أو بحر الخزر).

فإن كان لديك بعد، يا عزيزي، أيّ سؤال آخر، فدعْهُ إلى لقائنا القادم إن شاء الله، وفيه سنتحدث عن المحرمات والنواهي.

عبد الله: حتى الآن ليس في بالي أيّ سؤال آخر، وشكرًا، أيها الشيخ الجليل، وإلى اللقاء القادم إن شاء الله.

اللقاء الثاني عشر
المُحرّمات والنواهي

استهل الشيخ سالم هذا اللقاء قائلًا: في ختام لقائنا السابق، يا عبد الله، أشرنا إلى أنّ موضوع حديثنا اليوم، هو المُحرّمات والنواهي، كما بينتها آيات القرآن الكريم. وأردف، قائلا: إن أداء الفرائض كاملة يكون ناقصًا إذا لم يقترن بطاعة الله في ما أمرنا باجتنابه. فما ينفع الإنسان إن صام وصلّى وزكى وحج إلى بيت الله الحرام، ولم يمتنع عمّا حرّمَه علينا أو نهانا عنه، وإلّا فسيكون من المرائين الذين قال عنهم الله عز وجل: **﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ* الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ* الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ* وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ*﴾** (الماعون 4-7). ولا أرى فرقًا يُذكر بين المُرائي والمُنافق. ولا بد من الإشارة إلى أنّ المحرمات والنواهي، هي من القواعد التي أمرنا خالِقُنا ﷻ، بالتقيد بها، لحمايتنا، كبشر، على هذه الأرض، صحيًّا واجتماعيًّا. ولا ننسى أنّ تعاليم الأديان التي سبقت دين الإسلام، قد تضمنت أيضًا من مثل تلك القواعد. مع التنبيه إلى أنّه لا يحق لأي كان، ومهما كان موقعه، أن يصدر الفتاوى سواء بتحريم أم تحليل، غير ما حرّمه أو حلله الله. وها هو رسوله الكريم يقول: «**إنّي والله لا يُمْسِكُ الناسُ عَلَيَّ بِشَيءٍ، إلاَّ أَنّي لا أُحِلُّ إلاَّ ما أَحَلَّ الله في كتابِهِ، ولا أُحَرِّمُ إلاَّ ما حَرَّمُ الله في كتَابِهِ**»[1].

[1] أخرجه البيهقي.

وبما أن النفس الإنسانية من طباعها الميل إلى الشر، فلذلك نرى في القوانين التي تضعها الحكومات، نصوصًا عقابية ردعية، غايتها الحرص، على حياة مواطنيها، جسديًّا واجتماعيًّا. ولا يحقّ تعديلها إلّا لمجالسها التشريعية. ثم أضاف: أما المحرمات والنواهي، كما بينتها آيات القرآن الكريم فهي:

أولًا: في المأكل

وقد بينتها لنا الآيتان التاليتان:

- **﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** (المائدة 3).
- **﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾** (الأنعام 121).

والجدير بالإشارة إليه، أنّ الإسلام يضع دومًا أسبابًا تخفيفية، حتى في المحرمات، عملًا بمبدأ «الضرورات تُبيح المحظورات»، ومنها ما ختمت به الآية (المائدة 3) المذكورة: **﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾**. وأيضًا في قوله، ﷻ: **﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** (البقرة 173).

عبد الله: حبذا لو تُفِدني بما تعني: المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وذكيتم والنُّصُب، والمخمصة.
الشيخ سالم: بالتأكيد يا عزيزي. **المنخنقة**: التي قتلت خنقًا ولم يهرق دمها أيضًا. **والمَوْقُوذَة**: التي قتلت بالخشب، لما قد يسببه من التعذيب للذبيحة. **والمُتَرَدِّية**، التي تَردَّت من مكانٍ عالٍ، أو في بئرٍ أو في هُوَّةٍ فَهَلَكَتْ. **والنطيحة**، التي ماتت من النطح. **وذكيتم**: ما أتممت ذبحه على التمام، وقبل أن ينفق. والنُّصُب: الصنم، والمخمصة: المجاعة.
عبد الله: وهل لديك تفسير لأسباب هذا التحريم؟
الشيخ سالم: لقد أخبرني صديقٌ، وكان مالكًا لأحد أهم المطاعم في بيروت، قال: إبّان الأحداث التي عصفت في لبنان في العام 1975 وما يليه، عملتُ، ككثيرين غيري، من رجال الأعمال اللبنانيين، على نقل بعض أعمالنا إلى الخارج. ومنها أنني تحادثت مع أحد صانعي المأكولات وتعليبها، في مدينة لندن البريطانية، في إمكانية تعليب الطبخ اللبناني. فقاموا بإجراء التجارب العملية للتحقق من إمكانية الدخول في هذا الحقل. وبعد مدة كافية لذلك، أفادني بأنّ النتائج كانت جيدة إلى حدٍ ما على جميع الأصناف، ما عدا ما دخله لحم الخنزير، إذ بعد مدة من تعليبه وبعدة طرق وعدة مرات، كانت النتيجة دومًا نمو الدود فيه. كما أنّ أبحاثًا طبية أثبتت وجود فيروسات وجراثيم في لحم الخنزير خطيرة جدًا على جسم الإنسان، وقد تؤدّي إلى

الوفاة.[1] وليس في القرآن وحده، حُرّمَ لحمُ الخنزير، بل في «التوراة» أيضًا، والتي هي، العهد القديم في «الكتاب المُقدّس»، عند إخواننا المسيحيين.

هذا عن الخنزير، أما المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة، فإن لم تُذكَّ، فستبقى دماؤها في أجسادها، ومن المعروف أن الدم يحمل، في دورانه في الأجساد، الشوائب والجراثيم وينقلها إلى الأعضاء التي تنقيه منها، فإن لم يُهرق فستبقى فيه، تلك الشوائب والجراثيم. وضرر أكل الميتة على صحة الإنسان أسوأ من ضرر الدم، والله أعلم. أما، ما ذبح على النصب وما لم يذكر اسم الله عليه، فلأنه كان من مراسم عبادة الأصنام والأوثان، وعدم الإيمان بالله الواحد.

عبد الله: شكرًا على هذا التفسير المقنع.

الشيخ سالم: لا شكر على واجب، يا عزيزي.

ثانيًا: في المشرب:

فإلى جانب تحريمه شرب الدم، كما ذكرنا مع المأكل، فقد نهى ﷺ، عن شُرب المُسكِرات بجميع أنواعها، وتعاطي المخدّرات، وكل ما يُفقد الإنسان رزانة العقل ووضوح التفكير والوعي، ويمنعه، بالتالي من أداء الفرائض، وبخاصة، الصلاة عملًا بقوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾** (النساء 43).

[1] https://www.albayan.ae/sports/2006-09-28-1.872906

وعلى الرُّغم مما قد يكون في «الكحوليات» والمخدرات، بعضُ النفعِ فضررها أكبر: **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾** (البقرة 219).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ[1] وَالْأَزْلَامُ[2] رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (المائدة 90 - 91).

ولمن يقول بأنّه تعالى لم يحرّم الخمرة، بل قال (اجتنبوها)، أقول له: ما الفرق بين: لا تقربوا واجتنبوا؟ أليس في الاثنين أمرٌ بالامتناع؟

ثم لاحظْ، يا عزيزي أنّه ﷻ، قد قرن أمره باجتناب الخمر والميسر معًا، ووصفهما بأنهما من عمل الشيطان، الذي يعمل دومًا على تجميل المعاصي في عيني من يسعى إلى إغرائه لاقترافها. فتعاطي الأمرين، يبدأ بما يجذب الشخص إلى التكرار، إما بلذة طعم الخمر، أو بربح المال في المقامرة، ما يقوده كثيرًا إلى الإدمان. فإدمان المسكرات والمخدرات، لا يؤثر على عقل الإنسان فقط، بل على أعضاء من جسمه، ما

---

[1] الأصنام.

[2] الزُّلَمُ بضم الزاي والجمع الأَزْلامُ وهي السهام التي كان أهل الجاهلية يستقسمون بها. (لسان العرب).

قد يؤدي به إلى الوفاة. وبهذا يكون قد تسبب ذاك الإنسان بقتل نفسه. والقتل، بجميع أشكاله، قد حرمه ﷻ، في كثير من الآيات، أكتفي منها بالتالي:

- **﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾** (المائدة 32)،
- **﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾** (الإسراء 33)،
- **﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾** (النساء 29).

ولو كان الأمر بيدي، لحرّمتُ، لا المُسكراتِ والمُخدّراتِ فقط، بل كلَّ ما من شأنه الضَّرر بصحة جسم الإنسان، وعلى رأسها التدخين بجميع أنواعه وأشكاله، الذي أثبت العلم أنّه السبب الرئيسيُّ في الكثير من أنواع مرض السرطان. ثم أسأل، لماذا نمتثل لنصائح الأطباء بالامتناع عمّا يضرُّنا، ولا نمتثل لأوامر من خلقنا، العالم تمام العلم بكلّ خلايا أجسامنا؟ أهو من قبيل الثقة بالطبيب، وعدم الثقة بمن خلقنا؟ أم لماذا؟ هل من مجيب؟ أما الميسر، أو (ما يعرف في أيامنا هذه، بالمقامرة)، فبالإضافة إلى أنه، في رأيي، من أنواع السرقة، ففي الأمر باجتنابه أيضًا، حكمة، من الله ﷻ. فالمقامرة كثيرًا ما يتحول صاحبها إلى إنسانٍ مدمن. والمدمن قد لا يتورع عن القيام بأي تصرف في سبيل تلبية حاجات هذا الإدمان، لأن المُدمن يصبح عبدًا لتلك

الحاجات. وكم من أسرةٍ أو بيتٍ أو عملٍ، دمرته نزواتُ أربابها المدمنين على المقامرة؟ وبما أن الأسرة وحدة المجتمع، والأعمال أساس الاقتصاد، فانهيارها إذًا سينعكس على المجتمع برمته. ثم كم من مقامرٍ تحول من عضو عاملٍ منتجٍ إلى شخص عاطلٍ عن العمل أو حتى إلى متسولٍ؟

عبد الله: الله، ما في هذا الاستنتاج من المنافع، ليس للإنسان فقط، بل للإنسانية جمعاء.

الشيخ سالم: الحرص على البشرية، هو جوهر تعاليم دين الإسلام، يا عزيزي.

ثالثًا: في المعتقدات الدينية[1]:

الشيخ سالم: فيما خصّ المحرمات والنواهي في المعتقدات الدينية، فيمكنني اختصارها بالقول بأنها، في كل ما يتعارض مع ما بيّنّاه، في لقاءاتٍ سابقة، عن أركان الإيمان، وأسس توحيد الخالق ﷻ، وعبادته.

رابعًا: في أمور الدنيا[2]:

الشيخ سالم: توضح لنا الآيتان التاليتان، بعضًا من المحرمات والنواهي في شؤون الدنيا: **﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ**

---

[1] من يرغب في الاطلاع على الآيات التي تشير إلى المحرمات والنواهي في المعتقدات الدينية، يمكنه العودة إلى الصفحة 671 وما يليها من كتابنا (دليل الموضوعات في آيات القرآن الكريم – بيروت – 2001).

[2] من يرغب في الاطلاع على الآيات التي تشير إلى المحرمات والنواهي في أمور الدنيا، يمكنه العودة إلى الصفحة 871 وما يليها من المرجع السابق.

أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الأنعام 151 - 152).

وبالمختصر، أقول لك يا عبد الله، وكإنسانٍ عاقلٍ: إنّ كلّ ما تكرَه أن يبادرك به الآخرون، هو من المحرمات والنواهي. فإن كنت ترضى، مثلًا، أن يعتدي عليك أحدٌ، فاعتدِ عليه. وإن قبلت أن يكذب عليك، فاكذب عليه. وكذلك في التعامل، والعلاقات بين البشر، وعلى جميع المستويات. وهذه القاعدة نفسها، يجب أن تكون أيضًا، قاعدة سلوك وأخلاق المسلم، وتعامله مع الآخرين، سواء كانوا على دين الإسلام أم غيره.

ويبقى الكذب، في رأيي، على رأس تلك المحرمات والنواهي، في أمور الدين والدنيا على حدٍّ سواء.[1] وأظنُّك لم تزل تذكر حكاية «لا تكذب» التي رويتها لك في لقاء سابق.

وتحضرني هنا، مقولتان من أجمل ما قرأت:

---

[1] من يرغب في الاطلاع على الآيات التي تشير إلى المحرمات والنواهي في هذا الموضوع، يمكنه العودة إلى الصفحة 533 وما يليها من المرجع السابق.

الأولى: «**إنّ صحة المعتقد لا تعني صوابيّةَ الشخص المعتقِد بمعزلٍ عن السلوك والمعاملة**[1]».

والثانية: عن أحد الحكماء، أنه قال: «**لا تحدثني كثيرًا عن الدين، بل دعني أرى الدين في أخلاقك وسلوكك وتعاملك**».

وعن النبيّ ﷺ، أنه قال: «**ألا أُخْبِرُكُمْ بالمُؤْمِنِ؟ مَنْ أمِنَهُ النّاسُ عَلى أَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، وَالمُسْلِمُ مَنْ سَلم النّاسُ مِنْ لِسانِهِ وَيَدِهِ، وَالمُجاهِدُ مَنْ جاهَدَ نَفْسَهُ في طاعَةِ الله، وَالمُهاجِرُ مَنْ هَجَرَ الخطايا وَالذُّنوبَ**»[2].

عبد الله: لو أنّ الناس يتحلّون بأكبر قدر من هذه المناقب، لبلغت المجتمعات أعلى درجات الصلاح.

الشيخ سالم: كم أتمنى ذلك، يا عبد الله. ولنختم لقاءنا لهذا اليوم، ببيان النساء اللواتي حرم الله تعالى الزواج بهنَّ.

خامسًا: المحرم الزواج بهنَّ:

هنّ المذكورات في الآيات التاليات:

﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا * حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمْ

---

[1] العلامة السيد علي الأمين

[2] أخرجه الإمام أحمد.

الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا * وَالْمُحْصَنَاتُ[1] مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ[2] كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾. (النساء 22 - 24).
﴿وَلاَ تَنكِحُواْ الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلاَ تُنكِحُواْ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُواْ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَـئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (البقرة 221).

فأظنُّ أنّ ما جاء في هذه الآيات، يكفي لتعريفنا بالنساء المحرم، والمنهي عن الزواج بهن.

عبد الله: أجل، لقد بيّنتهنّ بوضوح، ولكن أتمنى أن توضح لي، أيها الشيخ الجليل، متى تصبح البنت أختًا من الرضاعة؟

الشيخ سالم: سؤال مهمّ. الرضاعة التي تُحرّم الزواج تُعرف في الفقه الإسلامي باسم **الرضاعة المُحرّمة**، وهي التي تُنشئ **حرمة النسب** بين الرضيع والمرضعة، أي يصبح الرضيع كولدٍ لها، فلا يجوز له الزواج بها، لأنها أصبحت «أمّه من

---

[1] والـمُـحْصَنةُ: التـي أَحصنها زوجها، وهن الـمُـحْصَنات، فالـمعنى أَنهن أُحْصِنَّ بأَزْواجِهنَّ. والـمُـحْصَنات: العَفَائِفُ من النساء. (لسان العرب).
[2] هنّ الإماء، قبل القضاء على الرّقّ.

الرضاعة.» وكذلك ببنتها لأنها أصبحت «أخته من الرضاعة».

ولم يرد في القرآن الكريم أيّ نصٍّ يشير إلى عدد أو كمية الرضعات ما يجعل الرضيع ابنًا للمرضعة أو أخًا لمن رضع معه. وعن النبي ﷺ، أنه قال: «**يَحرُمُ منَ الرَّضاعةِ ما يَحرُمُ منَ النَّسَبِ...**»[1]. و«**لاَ يُحَرِّمُ مِنَ الرَّضَاعةِ إلاَّ مَا فَتَقَ الأمْعَاءَ[2] في الثَّدْيِ، وكانَ قَبْلَ الفِطَامِ**»[3].

هذا وقد اختلف الفقهاء في تحديد كمية الرضعات. كما لم أجد ما يشير إلى أن العلم قد حدد عددًا دقيقًا من «الرّضعات» التي يمكن بعدها القول بأن «خلاصة» الحليب قد امتزجت بدم الرضيع بشكل يغيّر من طبيعته البيولوجية أو الاجتماعية، كما هو مطروح في الفقه الإسلامي. والله أعلم.

عبد الله: في قوله تعالى بالنهي عن زواج بمشركات أو مشركين، فهل يشمل هذا النهي، المسيحيين واليهود، أيضًا؟

---

[1] أخرجه البخاري.

2 الفتق: «إلَّا ما فَتَقَ الأمعاءَ»، أي: إلَّا ما كَوَّنَ لحمَ الصَّبيِّ وشقَّ أمعاءَه، وكان له بمَنزلةِ الغِذاءِ في تَكوينِ جِسمِه واشتدادِ عُودِه، «في الثَّدي»، أي: وكان أثناءَ مُدَّةِ الرَّضاعِ، «وكان قبلَ الفِطامِ»، أي: وكان قبل أن يُفطَمَ الرَّضيعُ. (موقع الدرر السَّنيَّة).
https://dorar.net/hadith/sharh/81673

[3] أخرجه الترمذي.

الشيخ سالم: بالتأكيد، لا يا عزيزي. فالمسيحيون واليهود هم من أهل الكتاب، وكما أحل لنا ﷻ، طعامهم فقد أحلّ أيضًا، الزواج بنسائهم، في قوله: ﴿**الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ**﴾ (المائدة 5). كما أن النبيّ قد تزوج صفية بنت حيي بن أخطب، وهي يهودية، كما أنّ مارية بنت شمعون، أم ابنه إبرهيم[1]، كانت قبطية.

وختم **الشيخ سالمٍ** قائلا: آمل، يا عبد الله، أنّ يكون ما تحادثنا عنه في لقاءاتنا هذه، قد أعطاك لمحة كافية عن دين الإسلام، كما طلبت. وإن لم يبقَ لديك أيّ استفسارٍ، في موضوع اليوم، ففي لقائنا القادم، سنتحدث عن بعض الفواحش، إن شاء الله.

عبد الله: شكرًا، أيها الشيخ الجليل، وإلى اللقاء في الأسبوع القادم، إن شاء الله.

[1] توفي طفلا دون العامين.

اللقاء الثالث عشر
الفواحش

في بدء هذا اللقاء، قال **الشيخ سالم**: قلنا في نهاية لقائنا السابق، يا عزيزي، إنَّ موضوع حديثنا اليوم هو بعض الفواحش، التي يقول فيها، ﷻ: **﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾**. (الأنعام 151). وبالرغم من أنّها من «المحرمات والنواهي»، فقد رغبت في أن نخصص لها جلسةً خاصة. وهي عديدة ولذا سنقتصر على الأربع التاليات:

1 – الزنى:

وتابع قائلًا: لقد خلقَنَا الله ﷻ، نحن بني **﴿الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾**[1]، وكرَّمَنا عن سائر خلقه، **﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾**[2]، وميَّزَنَا بالعقل، عن سائر مخلوقاته الحيَّة، على هذه الأرض، وجعلنا خلائف عليها، **﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ**

[1] (التين 4)
[2] (الإسراء 70)

دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ[1] فِي مَا آَتَاكُمْ﴾[2]، وسخّر لنا **﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾**[3]. وقال لنا: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾** (الحجرات 13).

وما أعطانا ﷻ، العقل إلّا لنميّز به بين الخير والشر، ولنتحكّم بما في أنفسنا من الغرائز والشهوات الحيوانية، **﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾** (الشمس 7 - 8).

ثم بعث لنا رُسلَه، وآخرهم النبي محمد ﷺ، بتعاليم تدلّنا على سبل الخير والشر، وعلى إتيان صالح الأعمال، والامتناع عمّا حرّمه علينا ونهانا عنه، وعلى رأسها، الفواحش؛ بقوله ﷻ: **﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾** (الأنعام 151). وبقدر ما نستطيع من التحكّم بالغرائز والشهوات الحيوانية، أي بتصويب دورها لا بالقضاء عليها، فسنسمو درجاتٍ في إنسانيتنا.

وقد حرّم الله ﷻ، الزنى، كسائر الفواحش، بقوله: في الآيات التاليات:

---

[1] يقال: بُلِـيَ فلانٌ وابْتُلِـيَ إذا امْتُـحِنَ. (لسان العرب).
[2] (الأنعام 165)
[3] (الأنعام 165)

- **﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾** (الإسراء 32)،
- **﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾** (النور 3)،

والزنى هو من كبائر الفواحش، إذ إنه ﷻ، قد ساواه بالشرك وبالقتل، في قوله: **﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آَخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾** (الفرقان: 68).

وعن النبي ﷺ، أنه قال: «**يا أُمَّةَ محمدٍ، واللهِ ما مِن أحدٍ أَغْيَرُ منَ اللهِ أن يَزنيَ عبدُهُ أَو تزنيَ أَمَتُهُ. يا أُمَّةَ محمدٍ، والله لو تعلمونَ ما أعلمُ لضحكتم قليلًا وَلبَكيتُم كثيرًا**»[1]. أي أنّه تعالى، يغار على سلامة ومصلحة عباده، ذكورًا وإناثًا، من عاقبة الزنى.

ثم أردف قائلا: يا عبد الله، إنّي أرى على وجهك ما أفهم منه أنّك تريد أن تسألني، عمّا وراء تحريم الزنى. أليس كذلك؟

عبد الله: أجل أيها الشيخ الجليل. وأنا بشوق لسماع رأيك في ذلك.

---

[1] أخرجه البخاري.

الشيخ سالم: لو عدنا إلى الآية (151) من سورة الأنعام، التي سبق ذكرها، لقرأنا في آخرها: **﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾**، ما أفهم منه أنه ﷻ، يريدنا أن نُعمِل العقل، كي نفهم ولو بعضًا مما وراء أمره لنا بالامتناع عن ارتكاب الفواحش، والزنى من كبائرها.

وبالعودة إلى مضمون الآية (13) من سورة الحُجُرات، المذكورة سابقًا، أفهم أنّه ﷻ، قسم بني الإنسان، إلى نوعين: ذكورًا وإناثًا، وجعلهم شعوبًا، وكل شعب مؤلفٍ من عدد من القبائل غالبًا ما تعود إلى عرقٍ واحدٍ، وتربط بين أفراد كلٍّ من هذه القبائل، روابط القربى والنسب، متجمعةً من أُسرٍ تتألف من زوجين، رجلٍ وامرأةٍ، وما يرزقان من الأولاد. وهذه الأسرة بالتالي، هي وحدة المجتمع، مهما كان حجمه؛ فإن صَلَحَتْ، صَلَح المجتمع، وإن فسدت فسد. وفي قوله ﷻ: **﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾**، دعوى لتقوى الله، لأن المتقي لا يمتنع عن إتيان ما نهانا الله تعالى عنه، وبالتالي لا يعمل إلّا صالحًا. وقد وصف لنا ﷻ، مؤَسِّسَي هذه الأسرة، عنيت الأبَ والأُمَّ، بقوله: **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾** (الروم 21). والكلام في هذه الآية، يعني الزوجين معًا، الأب والأمّ، لا كما يظنّ البعض بأنه موجه إلى الرجل وحده، فلو كان كذلك لقال: (لتسكنوا إليهنَّ، لا إليها). وفي قوله: **﴿خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾**، يعني منكم يا معشر الناس، لا

كما يظنُّ بعضهم، بأنه خلق المرأة من ضلع الرجل. ويعزز قولي هذا ما جاء في قوله ﷻ: **﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾**.[1] والكلام هنا، موجهٌ إلى سادة قريش، بأنّ رسول الله، النبيّ محمد ﷺ، هو واحدٌ من قريش.

والزنى، والعلاقات الجنسية المخالفة للطبيعة، وبالإضافة إلى الأضرار الجسدية الناتجة عن الأمراض التي قد تتسبب بها هذه العلاقات، فأضرارها على الأسرة والمجتمع، من أخطر ما قد يؤدّي إلى تفكك وحدة وسلامة العائلة وأفرادها، ومن ثمّ المجتمع بأسره، وبالتالي ضياع الدولة. وكم من الأُسر تفككت بسبب خيانة الزوجين، أو أحدهما؟ وضاع مصير أطفالها في المجهول؟

وعَنْ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لاَ يَنْظُرُ الرَّجُلُ إِلَى عَوْرَةِ الرَّجُلِ وَلاَ الْمَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ الْمَرْأَةِ، وَلاَ يُفْضِي الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، [**يقصد اللواط**] وَلاَ تُفْضِي الْمَرْأَةُ إِلَى الْمَرْأَةِ فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ [**يقصد المساحقة**]**»[2]. و{عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ لَعَنَ النَّبِيُّ ﷺ الْمُخَنَّثِينَ مِنَ الرِّجَالِ، وَالْمُتَرَجِّلاَتِ مِنَ النِّسَاءِ وَقَالَ:

[1] (التوبة 128)
[2] أخرجه مسلم.

«**أَخْرِجُوهُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ**».[1]} وعنه ﷺ، أيضًا: «**ملعون من أتى امرأته في دبرها**»[2].

وأختم هذا الموضوع، بقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آَمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ (النور 19). أي أنّ عقابه ﷻ، لن يقتصر على مرتكبي الفواحش، فقط، بل يطال كلَّ من ساهم في تفشيها في المجتمعات، أيضًا. كما أني أرى أنّ في قوله ﷻ، (الذين آمنوا)، ما يشمل كلَّ من آمن به ﷻ، وبوحدانيته، من أهلَ الكتاب، مسلمين ومسيحيين ويهود. والله أعلم.

ولا ننسى أن واحدة من الوصايا العشر، تقول: «**لا تزن**»[3] وأخرى: «**لا تشته بيت قريبك. لا تشته امرأة قريبك.**»[4].

كما لا بد لي من الإشارة، إلى أن عقوبة اللواط حسب التوراة، هي القتل: «**وَإِذَا اضْطَجَعَ رَجُلٌ مَعَ ذَكَرِ اضْطِجَاعَ امْرَأَةٍ، فَقَدْ فَعَلا كِلاَهُمَا رِجْسًا. إِنَّهُمَا يُقْتَلاَنِ. دَمُهُمَا عَلَيْهِمْ**.»[5]

فهل لديك يا عزيزي، أيّ استيضاحٍ في ما خص موضوع الزنى، بخاصةٍ، والمحرمات والنواهي، بعامة؟

---

[1] أخرجه البخاري.
[2] أخرجه الإمام أحمد.
[3] (خروج 20: 14) [1، 3].
[4] (خروج 20: 17) [1، 3].
[5] سفر اللاويين 20:13

عبد الله: لا، أيها الشيخ الكريم، أظنُّ أنّ ما تفضلت به، كافٍ حتى الآن.

الشيخ سالم: حسن. فسننتقل إذًا إلى الكلام في،

2 – السرقة وقطع يد السارق:

عبد الله: أظنُّ أن ليس لدى أيّ أنسانٍ شكٌّ، أيها الشيخ الجليل، في أنّ السرقة هي من أكبر الجرائم. ولذا أرجو الاكتفاء في الجواب على سؤالٍ كثيرًا ما يجول في خاطري.

الشيخ سالم: وما هو سؤالك هذا، يا عبد الله؟

عبد الله: إنّ عقوبة السرقة، في بعض البلدان الإسلامية، هي قطع يد السارق. فهل يتساوى بهذه العقوبة سارق المائة مع سارق المليون؟ وهل ترى في هذه المساواة، عدلًا؟

الشيخ سالم: حسن، يقول الله تعالى: ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ (المائدة 38 - 39). ويبدو أن المشرّع لديهم، قد استند، في وضع هذه العقوبة على ما نقل عن النَّبِيُّ ﷺ «تُقْطَعُ الْيَدُ فِي رُبُعِ دِينَارٍ فَصَاعِدًا»[1]. ولكنّي أرى أنَّ القطع هنا، لا يعني البتر، فلو أراد ﷺ، ذلك لقال: «فابتروا أيديهما»، فالقطع

[1] أخرجه البخاري.

هنا يعني الجَرْح بالحَزّ بسكينٍ أو بآلة حادة، قياسًا على ما جاء في الآيتين (31 و50 من سورة يوسف)[1]، وتفسيرهما. ومنه قول الطبري: «أنهنّ حززن بالسكين في أيديهن وهنّ يحسبن أنهنّ يقطِّعن الأترجّ»، والأترج نوع من الفاكهة. وبالعودة إلى الآيتين (المائدة 38 - 39) السابق ذكرهما: ففي قوله تعالى: **﴿فمن تاب من بعد ظلمه، وأصلح فإنّ الله يتوب عليه﴾** أي بعد السرقة (التي هي الظلم)، فهل سيتوب الله عليه قبل العقاب، أم بعده؟ فما دام باب التوبة مفتوحًا، فعدل الله ورحمته يُبقيان باب العفو مفتوحًا. وما نفع التوبة بعد بتر اليد؟

ويعزز رأيي هذا، ما رُوي عن النبي ﷺ: «**ادْرَؤُوا الْحُدودَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ ما اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنْ وَجَدْتُمْ لمُسْلِمٍ مَخْرَجًا فَخَلّوا سَبيلَهُ، فَإِنَّ الإمامَ إنْ يُخْطِئْ فى الْعَفْوِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُخْطِئَ بِالْعُقوبَةِ**»[2]. وفي رأيي أيضًا أنه لا يُعقل أن يتساوى عقابُ من سرق ربع دينار مع من سرق جملا. إذ أراه يتعارض مع عدل الله ورحمته.

وهل ترى، يا عبد الله، أنّ جوابي هذا كافٍ؟

---

[1] {فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ} (يوسف 31). {وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ} (يوسف 50).

[2] أخرجه صاحب المستدرك.

عبد الله: أجل، أيها الشيخ الجليل، جوابٌ كافٍ.

الشيخ سالم: إذًا، سننتقل إلى،

3 - القتل:

بالإضافة إلى ما جاء في الآية (الأنعام 151) المذكورة سابقًا: **﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾**، فاعلم يا، عزيزي، أنّ الله ﷻ، قد ساوى قتل نفسٍ واحدة، بقتل الناس جميعًا: **﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾** (المائدة 32).

وأذكّر أيضًا بإحدى الوصايا العشر، التي تقول: «**لا تقتل**»[1].

عبد الله: وماذا عن الانتحار؟

الشيخ سالم: في رأيي، يُفترض أن يكون عقاب المنتحر عند الله ﷻ، مضاعفًا، فبالإضافة إلى جريمة القتل، فقد ارتكب أيضًا، خطيئة الكفر بنعمة الله وحقِّه ﷻ، في أنفسنا وأجسادنا، إذ **﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾** (البقرة 156). والله أعلم.

عبد الله: هذا الجواب الذي كنت أتوقع سماعه منك، أيها الشيخ الحكيم.

---

[1] (خروج 20: 13) [1، 3].

الشيخ سالم: شكرًا يا عزيزي. فسأنتقل، إذًا إلى،

4 - الكذب:

الكذبُ آفةُ الأخلاق والقِيم والمجتمعات، وأبو الفواحش وراعيها. فالخيانة من الكذب، والنفاق من الكذب، والمراوغة من الكذب، والسرقة من الكذب، والفساد من الكذب... وهو أيضًا، سلاح إبليس وأبنائه لإغراء بني البشر وحضّهم على ارتكاب كلّ ما يُغضب الخالق ﷻ. بينما، أنّ الصدق من صفات الأنبياء، وبقدر صدق الفرد منا، تسمو منزلته عند ربّه ﷻ.

وفي القرآن الكريم: **﴿أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾**. (طه 48).

وأظنك يا عبد الله، لم تنسَ بعد تلك الحكاية من التراث التي رويتها لك في لقاء سابق، عن الأعرابيّ الذي سأل الرسول ﷺ، عما عليه فعله كي يصبحَ مسلمًا صالحًا؟ فأجابه النبيُّ (ﷺ): «عليكّ فقط ألَّا تكذِبْ».

عبد الله: بالتأكيد، لم ولن أنساها، ما حييت.

الشيخ سالم: جيد. وسنكتفي اليوم بهذا القدر من الوقت، وسيكون موضوع لقائنا القادم، بإذن الله، «منزلة المرأة في الإسلام».

عبد الله: شكرًا أيها الشيخ الحكيم، فمنذ بداية لقاءاتنا، وأنا أنتظر بلوغنا الكلام في هذا الموضوع. وإلى اللقاء في موعدنا القادم إن شاء الله.

اللقاء الرابع عشر
منزلة المرأة في الإسلام

بدأ الشيخ سالم كلامه بالتذكير بأن موضوع هذا اللقاء، هو «منزلة المرأة في الإسلام». وتابع قائلًا: كانت منزلة المرأة عند الكثيرين من الأعراب، في الجاهلية، تأتي في الدرجة الثانية، بعد الفَرَس. وكانت تُسبى كما الأنعام، في الغزوات بين القبائل. وكان وأدُ البنات، عادةً غير مستنكرة، بدعوى تجنب العار أو الفقر. كما كانت تعتبر متاعًا وجزءًا من ممتلكات الرجل، تُورَّث وتُباع وتُشترى. ولم يكن لها حقٌّ في الميراث، ولا في اختيار الزوج، ولا في الطلاق. كذلك كانت مشاركتها في الشأن العام محدودة، باستثناء بعض الحالات النادرة.

فلما جاء الإسلام رفع منزلتها، فحَرّم وأد البنات، وأعطاها الحقّ في الميراث والتملّك. كما اشترط رضاها في عقود الزواج، وحدد لها حقوقًا مالية عند الزواج والطلاق.

ويمكننا القول: إنّ كلَّ ما جاء به الإسلام، فيما خص المرأة، هو لتحصين ورفع منزلتها إلى ما تستحق، وإنصافها في حقوقها كإنسان لا ينقص عن الرجل، وحمايتها من الظلم الذي عانت كثيرًا منه في الجاهلية. فالمرأة هي أساس الحياة البشرية، فإن كانت تمثل نصف المجتمع، فهي التي تلد وتربّي النصف الآخر.

ونظرًا لاتساع هذا الموضوع، فسنكتفي يا عبد الله، بالإجابة على أسئلتك في هذا الأمر، ظنًّا مني بأنّها ستكون مما يتداوله العامة.

عبد الله: شكرًا، أيها الشيخ الجليل، وأول أسئلتي هو عن قوله تعالى،

«الرجال قوامون على النساء»

الشيخ سالم: يقول ﷻ، **﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾**، (النساء 34). يظنُّ كثيرون، يا عزيزي، أنّ في قوله **(الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ)**، حقًا للرجل بالتسلط على زوجه. ولكن لو عادوا إلى معاجم اللغة لتغير مفهومهم هذا. ففي معنى هذا (القيام)، يقول ابن منظور[1]: «قد يجيء القيام بمعنى المحافظة والإصلاح؛ ومنه قوله ﷻ: {الرجال قوّامون على النساء} وقوله ﷻ: {إلا ما دمت عليه قائما أَي ملازمًا محافظًا». ويقول أيضًا: «وقام الرجلُ على المرأَة: مانَها. وإنه لَقَوَّام عليها: مائنٌ لها. وفي التنزيل العزيز: {الرجالُ قوَّامون على النساء} وليس يراد ههنا، القيام الذي هو المُثُولُ والتَّنَصُّب وضدّ القُعود، إنما هو من قولهم قمت بأَمرك، فكأَنه، والله أَعلم، الرجال مُتكفِّلون بأُمور النساء مَعْنِيُّون بشؤونهن،» كما يقول: «قوّامون على النساء بالأُمور التي ليس للنساء أَن يقمن بها». وفي شرحه

[1] صاحب معجم: لسان العرب.

لمعنى كلمة «مان» يقول ابن منظور نفسه: «مانَهُ يَمُونُه مَوْنا إذا احتمل مؤونته وقام بكفايته، فهو رجل مَمُون؛ ومان الرجلُ أَهله يَمُونُهُمْ مَوْنًا ومَؤُونة: كفاهم وأَنفق عليهم وعالهم.» وفي هذا يقول القرطبي: «قوله ﷻ: {ٱلرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ}، أي يقومون بالنفقة عليهن والذَّب عنهن... و«قَوّام» فعّال للمبالغة».

وتؤكد الآية المذكورة عينها، هذا المعنى عندما تكمل: **﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾**.

وصحيحٌ أنّ القرآن يفرض، ليس فقط، على المرأة طاعة زوجها، بل الطاعة فرضٌ أيضًا على جميع أفراد أسرته، إلا في المعصية بالتأكيد، وهذا بصفته «المدير المسؤول» عن هذه «المؤسسة»، لا بصفته «السيد». ولكن هذه الطاعة لا تسمح له بالتسلط، وهذا ما تنتهي إليه الآية المذكورة عينها إذ تقول: **﴿...فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾** (النساء 34).

وهناك عدةُ آيات تؤكد على وجوب معاملة الرجل لزوجته بالمعروف، نذكر منها: **﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾** (النساء 19)، **﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾** (البقرة 228). وعن النبيّ ﷺ، أنه قال: «وَلا تَضْرِبْ، وَلا تُقَبِّحْ، وَلا تَهْجُرْ إلاَّ في الْبَيْتِ»[1]. «تُقَبِّحْ، أنْ تَقُولَ قَبَّحَكِ الله.» وللتوضيح وكي لا

[1] أخرجه أبو داوود.

يختلط الأمر، فالنهي عن الهجر، هو المقصود فقط، بقوله، في البيت، أما النهي عن الضرب والتقبيح، ففي كل مكان أو زمان.
وهناك حالةٌ أخرى، يا عزيزي، أراها مشابهةً لتفسيرهم ل «قوامة الرجل على المرأة»، ألا وهي تفسيرهم لكلمة **(اضْرِبُوهُنَّ)** في قوله تعالى: **﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾** (النساء 34).
إذ قد فسروها على أنها «حقّ» للرجل بضرب جسد زوجته إن خاف نشوزها.
فلو عادوا إلى معاجم اللغة، لوجدوا معانيَ عديدة لفعل (ضرب)، كضرب في الأرض، وضرب مثلا، وضرب الدرهم، وضرب صفحا، وضرب عرض الحائط... وفي القرآن الكريم، الذي أنزله الله ﷻ، بكلمات محكماتٍ تعطي المعنى المقصود في كلّ آية بكلّ دقة. فقد جاء فعل (ضرب) وبعض مشتقاته في العديد من الآيات، وفي كلٍّ منها بمعنًى يتناسب مع سياق الآية. نذكر منها التالي:
﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾. (البقرة 61)، أي جُعلت عليهم الذلّة عقابًا.
﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾. (البقرة 273) أي لا يستطيعون سفرًا.
﴿يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾. (الرعد 17)، أعطى أو أورد، مثلًا، لتشبيه وتوضيح أمرٍ ما.

﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ (الكهف 11)، أي صُمَّت آذانهم جراء تنويمهم.
﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾ (طه 77)، أي فاجعل لهم طريقًا...
﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾. النور 31)، أمره ﷻ، للنساء بتغطية جيوبهنّ.
﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ﴾. (الزخرف 5)، وفي لسان العرب: «ضَرْبُ الذِّكْرِ رَدُّه وكَفُّه؛ وقد أَضْرَبَ عن كذا، أَي كف عنه وتركه؛ وأَضْرَب عنه أَي أَعْرَض. وقولُه عز وجل: {أَفَنَضْرِبُ عنكم الذِّكْرَ صَفْحًا}؟ أَي نُهْمِلكم، فلا نُعَرِّفُكم».
وفي ﴿اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾، (البقرة 60)، و﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾، (الصافات 93)، تحديد وسيلة الضرب.
وفي ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ (محمد 27)، تحديد مكان الضرب من الجسد.
ومن هذا كلّه، أستخلص، أن المعنى المناسب لكلمة (**اضْرِبُوهُنَّ**)، وحسب سياق ما جاء في الآية، موضوع كلامنا، هو (الرّد والإعراض والترك والإهمال). أو حتى الطلاق.
ولا بأس في تكرار ما ذكرناه آنفًا عن قول النبي ﷺ: «وَلا تَضْرِبْ، وَلا تُقَبِّحْ، وَلا تَهْجُرْ إلاَّ في الْبَيْتِ»[1]. ونكرر

[1] أخرجه أبو داوود.

التوضيح، أيضًا، أنّ المقصود، في قوله، في البيت، هو الهجر فقط.

فلو قصد ﷻ، في كلمة (**اضْرِبُوهُنَّ**)، ضرب الجسد، لحدد وسيلة الضرب أو مكانه في الجسم. أو حتى أورده بأحد مسميات أنواع الضرب، مثل: اللطم أو الصفع أو اللكم، إلى سائر ما تحويه اللغة العربية من مفردات لأنواع ضرب الجسد.

عبد الله: شكرًا، وسؤالي الثاني هو لماذا خصها الله بنصف حصّة الذَّكَر في الورث بقوله ﷻ:

<u>للذكر مثل حظ الأنثيين؟</u>

الشيخ سالم: يقول تعالى: ﴿**يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ**﴾ (النساء 11).

إن مبدأ «للذكر مثل حظ الأنثيين»، في نظام الورث، في الإسلام، قد جعل الكثيرين، يزعمون أنّ فيه ظلمًا في حقِّ المرأة. وهنا أقول: إنّ الحكم على جزء من دون الأخذ بالكل يؤدي بنا إلى الحكم الخاطئ. إذ كان ينبغي على من قال ذلك، وقبل أن يصدر «حكمه» هذا أن يطّلع على جميع الأسس التي وضعها القرآن الكريم لما أعتبره «نظاما اقتصاديا اجتماعيّا»[1] ليفهم تلك الحكمة الكامنة خلف هذا المبدأ. فالقرآن الكريم قد حمَّلَ الرجل

[1] ومن رغب في معرفة المزيد عن هذا النظام الاقتصادي الاجتماعي، فيمكنه الرجوع إلى كتابنا «الاقتصاد في القرآن» الطبعة الأولى – بيروت - 2007.

وحده نفقاتٍ لم يفرض أيًّا منها على المرأة. فالرجل هو المسؤول عن تكاليف معيشة زوجه وأولاده، من مأكل ومشرب وملبس ومسكن وتعليم وغيره، ولا يتوجب على المرأة أيّ منها. كما على الرجل أن يدفع قيمة المهر، أو الصداق، للمرأة عند إبرام عقد الزواج. ولا يحق له التصرف بأموال وأملاك زوجه إلا إذا أذنت له هي بذلك. كما يتوجب على هذا الرجل أيضًا تحمل نفقات مطلقته ما دامت لم تتزوج بعده، إذ تقول الآية: ﴿**وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ**﴾ (البقرة 241). وعن النبيّ ﷺ، أنه قال: «أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طُعِمْتَ، وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ أو اكْتَسَبْتَ»[1].

أفلا يكون في منح الرجل هذا «التفضيل»، عونٌ له على القيام بواجباته تُجاه أسرته؟ ثم، ألا يُمنحُ اليوم، أعلى المسؤولين في المؤسسات الحكومية والتجارية، أعلى الرواتب مثلًا؟

عبد الله: كلامٌ منطقيٌ ومقنعٌ، أيها الحكيم. وسؤالي التالي، هو عن:

تعدد الزوجات

الشيخ سالم: لم يكن في الجاهلية أيّ رادع أو تقليد يحدد عدد الزوجات، فيما عدا لدى من كان منهم على المسيحية أو اليهودية. فكان، في رأيي، الأنسب اعتماد المرونة في منع تعدد

[1] أخرجه أبو داوود.

الزوجات. ولذا نزل النصُّ، يسمح بالزواج بأربع، ولكن بشرط العدل بينهن. ولذا نرى أنّ الشائع لدى الكثيرين، أَنّ دين الإسلام يبيح هذا التعدد، ومن دون قيد أو شرط سوى العدل بينهن في الأمور المادية، مستندين إلى ما جاء في الآية (3) من سورة النساء، والتي تقول: **﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُوا﴾**.

إن نصوص آيات القرآن الكريم، يا عبد الله، ليست نصوصًا شعرية أو أدبية، وكل كلمةٍ أو حرفٍ فيها له مدلوله الخاص، ولم يدرج عبثًا. فعلينا بداية معرفة معاني الكلمات المحورية في هذه الآية.

ففي معجم (لسان العرب لابن منظور**)**:

- «**يتامى**، جمع يتيم، واليَتيمُ الذي مات أَبوه فهو يَتيمٌ حتى يبلغَ، فإذا بلغ زال عنه اسمُ اليُتْم، والأُنثى يتيمة، والجمع أَيتامٌ ويَتامى ويَتَمةٌ. والعَجِيُّ الذي تموت أُمه، واللَّطيم الذي يموتُ أَبَواه».
- «**الإِقْساطُ**: العَدل في القسْمة والحُكم؛ يقال: «أَقْسَطْتُ بينهم وأَقسطّتُ إِليهم.».
- «**العَدْل**: ما قام في النفوس أَنه مُسْتقيم، وهو ضِدُّ الجَوْر. عَدَل الحاكِمُ في الحكم يَعْدِلُ عَدْلاً وهو عادِلٌ من قوم عُدُولٍ وعَدْلٍ؛ وعَدَل عليه في القضيَّة، فهو عادِلٌ، وبَسَطَ الوالي عَدْلَه ومَعْدِلَته.»

- «**الطيّب** خلاف الخبيث. وما طاب لكم، أي ما يحلُّ لكم.»
- «**العَوْل**: المَيْل في الحُكْم إلى الجَوْر. عالَ يَعُولُ عَوْلاً: جار ومالَ عن الحق. وفي التنزيل العزيز: ذلك أَدْنَى أَن لا تَعُولوا.» أي أقرب ألّا تجوروا.

وفي القرآن الكريم، (من قاعدة أنّ القرآن يفسِّرُ بعضُه بعضًا)**:**

- **﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا﴾**. (النساء 6).
- **﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾**. (هود 85)
- **﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾**. (النساء 58).
- **﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾**. (الحجرات 9)
- **﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾**. (النور 26).

وفي الأحاديث المنسوبة إلى الرسول الكريم، ﷺ:

- **«إذا استرحموا رحموا وإذا حكموا عدلوا وإذا قسموا أقسطوا»**[1].

[1] أخرجه الإمام أحمد.

- «**مَا دَامُوا إِذَا اسْتُرْحِمُوا رَحِمُوا، وَإِذَا مَا حَكَمُوا عَدَلُوا، وَإِذَا مَا قَسَمُوا أَقْسَطُوا**»[1].

وبالعودة إلى الآية (النساء 3) المذكورة، فلم يكن عبثًا أن تبدأ بجملة: ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى**﴾ ثم يأتي بعدها قوله: ﴿**فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ**﴾ **ثم تقول:** ﴿**فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً**﴾؛ فحرف «الفاء» في ﴿**فَانْكِحُوا**﴾ وفي ﴿**فَوَاحِدَةً**﴾، هو ما يسمى «الفاء الرابطة للشرط» أي يأتي بعدها جواب الشرط الذي هو هنا، في الجملة الأولى: {**وجوب الإقساط في اليتامى،**} وفي الثانية، {**وجوب العدل بين الزوجات.**}

أما إن عدنا إلى سورة النساء، وبالتحديد إلى الآية التي تسبق مباشرة، الآية المذكورة أعلاه، فسنجد أنها تتكلم أيضًا عن أموال اليتامى: إذ تقول: ﴿**وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا**﴾ (النساء 2)؛ لتكمل بعدها الآية المذكورة، بكلام معطوف على ما قبله، فتقول: ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُوا**﴾ (النساء 3).

فمما تقدم أرى أن الحق في تعدد الزوجات أعطي للرجل الذي يتولى رعاية يتامى وأموالهم، بأن يتزوج أمهم، مع

[1] أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه.

التقيد بشرط العدل بينها وبين سابقتها. أما في قوله: **﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾**، فلا يجوز فهم معنى (طاب لكم) أنه عائد إلى مزاج الرجل ورغبته؛ بل المقصود، من يحلُّ له زواجُها، كما سبق وبينت. وهذا ما أراه بابًا يجوز، لأولي الأمر فتحه عندما ينقص عدد الرجال بالنسبة إلى عدد النساء، وبخاصةٍ إثر الحروب.

وهناك، من المفسرين وغيرهم، من يقول بأنّ اليتامى المعنيين في الآية (النساء 3)، موضوع كلامنا، هنّ من النساء اليتامى، مستندين إلى ما جاء عن عروة بن الزُّبير أنه «سألَ عائشةَ عن قولِ الله تعالى: **﴿وَإِنْ خِفْتُمْ ألا تُقْسِطُوا فِي ٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾** فقالتْ: يا ابن أُختي، هذه اليتيمة تكون في حَجر وليِّها تشركهُ في مالِهِ ويُعجبه مالها وجَمالها، فيريدُ وليُّها أن يتزوجَها بغير أن يُقسطَ في صَداقِها فيُعطِيَها مثلَ ما يُعطيها غيرُه، فنُهوا عن أن يَنكِحوهنَّ إلاّ أن يُقسِطوا لهنَّ ويبلغوا لهنَّ أعلى سُنَّتهنَّ في الصَّداق، فأُمِروا أن يَنكِحوا ما طاب لهم من النساء سِواهنّ.»[1].

فلو كان الأمر كذلك لأوضحته الآية، كما جاء في قوله تعالى: **﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ**

[1] أخرجه البخاري.

تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾. (النساء 127).

ثم إذا ما نحينا جانبًا أنّ هذا السماح هو لزواج أمهات اليتامى، فإني أقول: في الظاهر الآية (النساء 3) المذكورة آنفًا، تسمح بتعدد الزوجات، ولكنها تشترط لذلك أن يعدل الزوج بين زوجاته، عندما تقول: **﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾**. ولا ضير في أن نكرر أنّ حرف «الفاء» في كلمة (فواحدة) هو ما يسمى «الفاء الرابطة للشرط» أي يأتي بعدها جواب الشرط، الذي هو هنا {وجوب العدل بين الزوجات}. ويقول محمد علي الصابوني، في كتابه «صفوة التفاسير»، في تفسيره لقوله تعالى **﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾** يقول: «أي إن خفتم من عدم العدل بين الزوجات فالزموا الاقتصار على واحدة». وبالتالي يصبح الاكتفاء بواحدة واجبًا في حال عدم التمكن من العدل المشترط. ويؤكد هذا الشرط ما انتهت إليه الآية عينها إذ تقول: **﴿ذلك أدنى ألا تعولوا﴾** بمعنى: «**أن الاقتصار على واحدة أقرب ألا تميلوا وتجوروا.**»[1]

ثم تأتي الآية (129) من سورة النساء عينها، لتعطينا الجواب الفصل في أنّ العدل بين النساء غير ممكن، لأنّه يقتضي أن يكون ليس فقط في الأمور المادية، بل أيضًا في المحبة والمودة،

---

[1] راجع صفوة التفاسير للشيخ محمد علي الصابوني – الطبعة الأولى 1997 دار الصابوني.

إذ تقول: **﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلاَ تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ...﴾**. وفي اللغة: «المَيْل: العُدول إلى الشيء والإقبالُ عليه»[1]. أما المفسرون، فيقول منهم ابن كثير: «﴿فَلا تَمِيلُوا كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾ أي فإذا ملتم إلى واحدة منهن فلا تبالغوا في الميل بالكلية ﴿فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ﴾ أي فتبقى الأخرى معلقة.» ويقول البيضاوي: «﴿كَٱلْمُعَلَّقَةِ﴾ التي ليست ذات بعل ولا مطلقة. وعن النبي ﷺ «من كانت له امرأتان يميل مع إحداهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل». ولا يمكن أن يكون هذا الميل إلا نتيجة التفريق في المحبة.

ثم تقول الآية (4) من سورة الأحزاب: **﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾**. وفي تفسيره لهذه الآية يقول البيضاوي: «أي ما جمع قلبين في جوف لأن القلب معدن الروح الحيواني المتعلق بالنفس الإنساني أولًا ومنبع القوى بأسرها.»

وفي تاج العروس[2]: «(القَلْبُ: الفُؤادُ)؛ أَو مُضْغَةٌ من الفُؤادِ مُعَلَّقَةٌ بالنِّيَاطِ... (أَوْ) أَنَّ القَلْبَ (أَخصُّ منه)، أَي: من الفُؤَادِ في الاستعمالِ، لأَنّه معنًى من المعاني يَتعلَّق به. ويَشهَدُ له حديثُ: «أَتَاكُم أَهْلُ اليَمَنِ، هُمْ أَرَقُّ قُلُوبًا، وأَلْيَنُ أَفْئِدَةً»، ووصَفَ القُلُوبَ بالرِّقَّةِ، والأَفئدَةَ باللِّينِ، لأَنَّهُ أَخصُّ من الفُؤادِ، ولذلك قالوا: أَصَبْتُ حَبَّةَ قَلْبِهِ، وسُوَيْدَاءَ قَلْبِه.»

---

[1] لسان العرب.

[2] للزبيدي.

وفي قوله: ﴿**مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ...**﴾، ليس المقصود عضويًا كما في «كليتين» أو «رئتين»...، إنما قاله مجازًا وكنايةً عما يكنّه القلب من المحبة، كما في قولنا: «رعاية البيت» والمقصود «رعاية من في البيت» لا المبنى. وقد كانت العرب تعتقد أن القلب مركز الحبّ. كما في قول امرئ القيس في معلقته:

أغَرّكِ منّي أنّ حُبّكِ قاتِلي *** وَأنّكِ مهما تأْمُري القلبَ يَفْعلِ؟

ولا ننسى أن القرآن الكريم أنزل بلغة العرب، ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**﴾ (الشعراء 193 -195)، وحسب مفهومهم لكلماتها، وما كانت ترمز إليه في حينه، لا كما تحوّر أو تبدل في عصرنا الحالي.

وهنا يطرح السؤال نفسه: هل يستطيع إنسانٌ ما أن يحبّ شخصين معًا بالقدر نفسه، حتى ولو كانا ولديه؟ كما نذكّر بما جاء في الآية (119) من سورة آل عمران وكررته آيات عديدة غيرها: ﴿**...إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾، وفي اقتناعي أنّ قوله: ﴿**وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ...**﴾ هو لعلمه بما يكنّه الإنسان، سواء من عواطف أم حتى مما في عقله الباطن، ﴿**أَوَلاَ يعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ**﴾ (البقرة 77).

وأضيف، بما أنّ الأسرة هي وحدة المجتمع وأساسه، فيكون، بالتالي، أول واجبات الأبوين هو تهيئة البيئة الجيدة لتنشئة

أطفال صالحين، وعدم تعدد الزوجات يساهم مساهمة فعَّالة في تربيتهم تربية صالحة. فإن تمكن أبٌ أن يعدل في تأمين منزلٍ خاصٍّ لكلٍّ من زوجاته، فأنّى يكون له أن يرعى أولاده في أربعة منازل منفصلة عن بعضها بعضًا، وقد لا يرى واحدَهم إلا مرة كل أربعة أيام، ولفترة وجيزة، قد لا تبلغ ساعة واحدة؟ ثم أين تصبح تلكما المودة والرحمة التي قالت عنهما الآية (21) من سورة الروم: **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾**. فكيف يكون السكن إلى أربعة؟! ولماذا قال: **﴿...لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾**؟ فبماذا نتفكّر؟ ولا ننسى، أنّ كلمة (آية)، إذا نسبت إلى نبيٍّ فتعني (معجزة) أما إذا نسبت إلى الله تعالى، فتعني (علامة على قدرته، عزّ وجلّ).

فالسكن من السكينة، وهذه لا تعني فقط عدم الحركة، بل من معانيها أيضًا: الرحمة والوداعة والطمأنينة والأمن والوقار، ولا يكون هذا كله إلا من الاستقرار، وأين يكون الاستقرار لمن يعيش بين أربعة منازل؟ كلّ يومٍ في منزل؟

وقد يحتج بعضهم بالسيرة النبوية بقولهم أنّ النبي ﷺ، قد توفاه الله عن تسع نساء. فعلى هذا أقول:

أولا: لقد كان ذلك استثناء له من الله تعالى، من قوله: **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾**. (الأحزاب 50).

ثانيًا: من المعلوم أنه لم يتزوج بكرا سوى عائشة (رضي الله عنها)، ما يدل على أنّ زيجاته لم تكن لإرضاء رغباتٍ جنسية. ولكن كان لكل زيجة سبب، إما سياسيّ، أو إنسانيّ، كالتي استُشهِد أو مات عنها زوجها، أو لرفع الحرج عن المؤمنين في الزواج بالمحصنات من أهل الكتاب، أو بمطلقات الأدعياء.

عبد الله: كلام حقٌّ، أيها الشيخ الجليل، وسؤالي الأخير، هل ترى أنه يتوجب على المرأة المسلمة ارتداء، ما يسمى:

«الحجاب الإسلامي»؟

الشيخ سالم: أظنّك تعني بكلمة «الحجاب»، غطاء شعر المرأة. أليس كذلك؟

عبد الله: أجل، هو كذلك.

الشيخ سالم: قبل الجواب على سؤالك، فاعلم، يا عزيزي، أن هذه التسمية لغويًّا خطأ. فغطاء الشعر هذا يسمّى بالعربية، الخِمَارُ أو النصيف[1]. أو يمكن أيضًا، تسميته: «غطاء الشعر». إنّ هذا الأمر قد اضطرّ المسلمين، وبخاصة في بلاد الاغتراب، إلى خوض صراعاتٍ عديدةً مختلفة الأوجه، ما كلّفهم الكثير من المتاعب، وصلت أحيانًا إلى درجة الأذية.

[1] «والخِمَارُ للمرأَة، وهو النَّصِيفُ، وجمعه أَخْمِرَةٌ وخُمْرٌ وخُمُرٌ. والنصِيف: الخِمار، وقد نَصَّفَتِ المرأَةُ رأْسها بالخمار. وانتَصَفَت الجارية وتَنَصَّفت أَي اختمرت.» (لسان العرب)

إنّ تغطية شعر المرأة عادة متوارثة منذ ما قبل بعثة النبي محمد (ﷺ). فلا ينكر أحدٌ أن أشكال وألوان وأنواع الثياب التي ارتداها الإنسان منذ القدم، كانت دومًا ترتبط بطبيعة وجوّ الناحية من الأرض التي يعيش عليها. ولذا فإن العيش في الصحراء كان يفرض على سكان شبه الجزيرة العربية، منذ ما قبل ظهور الإسلام، أن يرتدوا ثيابًا تحميهم من حرارة وأضرار أشعة الشمس الحارقة. فكان الرجال والنساء، على حد سواء، يرتدون الثوب الطويل الفضفاض، الذي يغطّي الجسد بكامله، كـ «الدشداشة» التي لم يزل سكان المملكة العربية السعودية ودول الخليج، يرتدونها على أنها زيّهم التقليدي، بالإضافة إلى غطاء الرأس؛ بشكل لا يظهر من جسم الإنسان سوى الوجه، واليدين إلى المعصمين، والقدمين إلى الكعبين. وكثيرًا ما كانوا يغطُّون الفم والأنف لاتقاء رمال العواصف في الصيف، أو البرد القارس في الشتاء..

كما أن تغطية الرأس والجسد لم تكن تقتصر فقط على سكان تلك الصحراء، بل كانت منتشرةً في جميع بلدان الشرق الأوسط، إن لم نقل في جميع أنحاء العالم. فلو زرنا مثلًا أيًا من المتاحف لرأينا أن الثياب التقليدية لمعظم شعوب العالم كانت تغطي كامل الجسد، من دون الوجه واليدين. كما أننا إن زرنا أيّ كنيسة لإخواننا المسيحيّين فلن نجد فيها أيقونة واحدة تظهر فيها صورة السيدة مريم العذراء (عليها السلام) من دون غطاء الرأس، بل أكثر من ذلك فإننا نراها دومًا لا يظهر من جسمها

سوى الوجه واليدين. ولكنّ اليوم، ومع رفاهية وسائل النقل والتكييف فقد اختلف الأمر في نوع وشكل اللباس في جميع أنحاء العالم.

أما تمسّك بعضهم باعتبار الخمار، أو تغطية شعر أو رأس المرأة المسلمة فرضًا، أو رمزًا دينيًا أيضًا، فأراه يعود لما فهموه من تفسيرهم للآيتين:

الأولى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾، (الأحزاب 59)،

والثانية: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. (النور 31).

ففي **تفسيره للآية الأولى**، يقول ابن كثير: «كان ناس من فساق أهل المدينة يخرجون بالليل حين يختلط الظلام إلى طرق المدينة يتعرضون للنساء وكانت مساكن أهل المدينة ضيقة فإذا كان الليل خرج النساء إلى الطرق يقضين حاجتهن فكان أولئك

الفساق يبتغون ذلك منهن، فإذا رأوا المرأة عليها جلباب قالوا هذه حرة فكفوا عنها، وإذا رأوا المرأة ليس عليها جلباب قالوا هذه أمة فوثبوا عليها، وقال مجاهد يتجلببن فيعلم أنهن حرائر فلا يتعرض لهن فاسق بأذى ولا ريبة.» ولهذا في رأينا أضافت الآية: **﴿أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾**.

وفي لسان العرب: «الـجِلْباب: القَمِيصُ. والـجِلْباب: ثوب أَوسَعُ من الـخِمار، دون الرِّداءِ، تُغَطِّي به الـمرأَةُ رأْسَها وصَدْرَها؛ وقيل: هو ثوب واسع...» ومن نص هذه الآية نتحقق أن الجلباب كان معروفًا قبل نزولها، أي قبل الإسلام، وأنَّ ما تأمر به، بقولها: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾ فهو ستر صدر المرأة كي لا تتعرض للأذى.

ويعزز رأينا هذا ما قاله الواحدي[1]: في أسباب نزول هذه الآية: «أَخرج ابن سعد في الطبقات عن أَبي مالك قال: كان نساء النَّبي صلى الله عليه وسلم يخرجنَ باللَّيل لحاجتهنَّ، وكان ناس من المنافقين يتعرضون لهنَّ فيؤْذَيْنَ، فشكوا ذلك، فقيل ذلك للمنافقين فقالوا: إنَّما نفعله بالإماء، فنزلت هذه الآية: {يَا أَيُّها النَّبيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ...}. ثمَّ أخرج نحوه عن الحسن ومحمد بن كعب القرظي.»

أما **الآية الثانية**، أي (31) من سورة النور، فيقول محمد علي الصابوني، في كتابه «صفوة التفاسير» في قوله تعالى:

---

[1] أسباب النزول – لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري – دار المعرفة بيروت – عام 2000.

{وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ}: «أي وليلقين الخمار وهو غطاء الرأس على صدورهن لئلّا يبدو شيء من النحر والصدر». وفي هذا **أولا**، دليلٌ على أن الخمار كان موجودًا عند العرب قبل الإسلام، **وثانيًا**، أنَّه ﷺ أمر بتغطية الجيوب لا بارتداء الخمار. وفي لسان العرب: «الجَيْبُ: جَيْبُ القَمِيصِ والدِّرْعِ، والجمع جُيُوبٌ. وفي التنزيل العزيز: ولْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنّ على جُيُوبِهِنَّ.» والجيب هنا هو هذا الشق الذي يفصل بين النهدين، وهي بالتالي مشابهة في المعنى لما جاء في الآية الأولى لناحية ستر الصدر والنحر. وبالتالي فالمطلوب من المرأة المسلمة ارتداء الثياب المحتشمة. وهذا في رأيي، ما تحدده عادات المجتمع الذي تعيش فيه.

وهنا أسال: لماذا يغفلون ذلك الجزء من الآية الأولى الذي يقول: **﴿ذٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ...﴾** والذي نفهم منه أنّ هذه الآية إنّما نزلت لرفع الأذى عن المسلمات. وهذا ما يجعلني أقول: إذا كان غطاء الشعر هذا قد يتسبب بالأذى للمسلمات والمسلمين المقيمين في بلاد الغرب بخاصة، فإنّي أرى وجوب التخلي عنه، لرفع هذا الأذى، من مبدأ: «الضرورات تبيح المحظورات». ولماذا نجعل المرأة المسلمة تختلف في المظهر، عن سائر النساء كي يشار إليها بالبنان إن أخطأت؟

عبد الله: فما المقصود بالزينة في قوله تعالى: **﴿وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَآئِهِنَّ...﴾** (النور31)؟

الشيخ سالم: لقد أوضحَت ذلك الآيةُ عينُها بقولها: **﴿وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾**، أي أنّ هذه الزينة، في رأيي، هي كل ما تخفيه الثياب التي ترتديها في كل مرّة.

وخلاصة القول، فحسب مفهومي لمضمون آيات القرآن الكريم، أقول: إنّ ما يطلبه خالقُنا ﷻ، من المرأة في هذا الأمر، هو الحشمة في اللباس تجنُّبًا للفتنة، لأنّه يعلم أنّ نفْسَ الرجل أضعفُ من نفسِ المرأة في السيطرة على الغريزة الجنسية.
فهل لديك بعد، يا عبد الله، أيّ سؤالٍ أو استفسارٍ فيما خص منزلة المرأة؟

عبد الله: لا، أيها الشيخ الجليل، فهذا كافٍ.

الشيخ سالم: حسنًا. وأظنُّ أنّنا قد تطرقنا، في لقاءاتنا حتى اليوم، إلى معظم أمور دين الإسلام. وفي لقائنا القادم، بإذن الله، سنستخلص، مما تداولنا به، خاتمةً موجزةً، تبيّن جوهر وروح وسماحة ديننا الحنيف، وبذلك أكون قد بينت لك قدر المستطاع، «كيف تكون مسلمًا»، حسب ما أوحى به الله ﷻ، إلى رسوله ﷺ، في آيات القرآن الكريم.

عبد الله: يسعدني ذلك. وإلى اللقاء في الأسبوع القادم، إن شاء الله.

اللقاء الخامس عشر
الخاتمة

ابتدأ، **الشيخ سالم**، بالقول: هل لديك، يا عبد الله، أيّ استفسارٍ في أيٍّ من الأمور التي تداولنا فيها، في لقاءتنا السابقة؟

عبد الله: بل سؤالي اليوم، أيها الشيخ الفاضل، عمّا إن كان بإمكاني زيارتك في المستقبل، لأستزيد من علمك ومعرفتك؟

الشيخ سالم: بالتأكيد، يا عزيزي، فبابي مفتوح لك في أي وقتٍ تشاء، وعلى الرحب والسعة، وسواء جئتني للاستشارة أم لزيارة صداقة.

فعليه، ولما كنّا قد توافقنا في لقائنا السابق على أن أطرح على مسامعك خلاصة موجزة عن ديننا الحنيف، مستقاةً مما تباحثنا فيه سابقًا، مع بعض الإيضاحات الإضافية.

عبد الله: كلّي أذانٌ صاغية.

الشيخ سالم: في العام 610 م. بَعَثَ اللهُ ﷻ، ابن مكةَ، مُحَمَّدَ بنَ عبد الله، (راعيَ الغنمِ الأميَّ)، الذي كان أبناءُ قومِه يلقّبونه، بمحمد الأمين، برسالة «الإسلام» إلى الناس أجمعين، **ورحمة** لهم، **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾**[1]. هذه الرسالة جمعت وأكملت، ما سبق أن أوحى به ﷻ، إلى الأنبياء والمرسلين، الذين جاؤوا من قبل، كُلٌّ إلى أبناء قومِه يدعونهم إلى توحيد الخالق ﷻ، وعبادته، وإلى أن يعملوا صالحًا بينهم، وأن يمتنعوا عن ارتكاب الفواحش، وإيتاء الموبقات.

---

[1] (الأنبياء 107)

واستمرَّ ﷺ، يدعو الناس إلى الإيمان برسالته، ويشرح دقائقها، على مدى ثلاث وعشرين سنة، تعرّض في الإحدى عشرة الأولى منها، هو ومن آمن بنبوته ورسالته، لاضطهاد بني قومهم من أشراف قريش، الذين وصل بهم العداء له ﷺ، إلى محاولة قتله، التي نجّاه ربّه منها. وهذا على الرُّغم من أنّه ﷺ، هو أو أيٌّ من أتباع رسالته، لم يرفع سلاحًا بوجه قُرشيٍّ أو غيره؛ ما اضطرهم إلى أن يهجروا، مكّة، مسقط رؤوسهم، إلى المدينة المنورة (وكان اسمها يثرب).

وعلى الرُّغم من ذلك، فقد حشد، أولئك «الأشرافُ»، المقاتلين من مكة، وممن تمكنوا من إقناعهم من القبائل، لقتاله. فقام ﷺ، بدوره بتنظيم نواة دولة مدنية، في «مدينته» الجديدة، ونظّم جيشًا من المهاجرين، ومن أنصاره من أهل المدينة، للدفاع عن أنفسهم، في جولات قتالٍ استمرت ما يزيد عن السنوات العشر. إلى أن نصره الله ﷻ، عليهم ودخلوا ﴿**فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا**﴾[1]. فقال لهم ﷻ: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾ (الأنعام 3).

وقد أضافت تعاليم دين الإسلام، الموثقة، في القرآن الكريم[2]، على الإيمان بوحدانية الله ﷻ، وبالحياة الآخرة، ما دعا إليه النبيون والرسل السابقون، أنّه ﷻ، سيحاسب فيها الناسَ

---

[1] (النصر 2)

[2] الذي تخضع إعادة نسخه وطبعه إلى مراجعة دقيقة من قبل لجانٍ مختصة.

أجمعين، كُلًّا على أعماله في الحياة الدنيا، فيُثابُ من زادت حسناته عن سيئاتِه بالخلود في الجنة، ومن زادت سيئاته عن حسناته، فعقابه جهنم إلى ما شاء الله، أما من تساوت حسناته وسيئاته، فمصيره على الأعراف إلى ما شاء الله. وأنّ صاحب الحقِّ في حساب الناس أجمعين يومها، هو الله ﷻ، وحده، بقوله: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾** (الحج 17). ولكنه ﷻ، ومن رحمته، وهو **﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**[1] و **﴿لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾**[2]، فقد أبقى باب التوبة والمغفرة مفتوحًا، بقوله: **﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** (الأنعام 54).

ولمن يزعم أن مصير أهل الكتاب في الآخرة، إلى جهنم، فجوابه، في قوله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾** (البقرة 62). (وقد كررته أيضًا الآية 69 من سورة المائدة). والملاحظ، أنه ﷻ، في هذه الآية ومثيلاتها[3]، يشترط

---

[1] (الممتحنة 7)، كما كررت هاتان الصفتان، في العشرات من آيات القرآن الكريم.

[2] (آل عمران 182)

[3] ومنها: **﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾** (طه 82).

دومًا، منح الأجر بالعمل الصالح، أن يكون هذا العمل مقرونًا، أيضًا بالإيمان به ﷻ، وباليوم الآخر.

كما أضافت، تعاليمُ الإسلام، أنّ على المسلم أن يؤمن، أيضًا، بالملائكة، وبالأنبياء والمرسلين الذين بُعِثوا قبل رسوله محمد ﷺ، وبرسالاتهم. وقد ذكر القرآن أربعةً وعشرين، جاؤوا قبل النبيّ محمد ﷺ، بدأً بآدم، وانتهاء بالمسيح، (عليهم الصلاة والسلام). ولم ينفِ ﷻ، بَعْثَ غيرهم، إذ قال، مخاطبًا رسوله الكريم، قائلًا: **﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ﴾** (غافر 78).

وفرضت، تلك التعاليم، أيضًا، على المسلم المؤمن، **﴿بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾**[1] خمسَ واجبات، هي:

1 - **إقامة الصلاة** خمس مرات في اليوم، فرضها اللهُ ﷻ، ووضع أشكالها وتفاصيلها، رسولُه ﷺ، يتصل فيها العبد بخالقه بآيات من التنزيل العزيز، ويؤكد ولاءَه وطاعتَه وانقيادَه لربّه بالركوع والسجود. وفي الحركات التي يقوم بها المصلّي، تمارين رياضية لمعظم عضلات الجسم. بالإضافة إلى تعويد نفسه على حصر التفكير في الصلاة، كما لو أنّه يمارس

[1] (البقرة 177).

رياضة اليوغا.

2 - **صيام شَهْر ﴿رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾**[1]، كلّ يومٍ من الفجر إلى الليل، ليتدرب على تحمّل الجوع، وليشارك الفقراء والمساكين في أحاسيسهم به. ولكنّه سمح للمرضى، والمسافرين إبّان هذا الشهر، بالإفطار، للمريض حتى يشفى، وللمسافر حتى يعود، على أن يصومَ، كلٌّ، بدلًا عن الأيام التي لم يصُمْها، بأيامٍ أُخر، بعد عيد الفطر، وقبل رمضان التالي، أو أن يُطعم مسكينًا، فدية عن كلّ يومٍ لم يصُمْه، عملا بقوله ﷻ: **﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾** (البقرة 184). وقد ثبت علميًا أن للصيام فوائد صحية متعددة، فهو يُساهم في الوقاية أو العلاج لعدد من الأمراض، منها السكري، وارتفاع ضغط الدم، وأمراض القلب والشرايين، والسُمنة. ولذا، في رأيي، أكملت الآية (البقرة 184)، المذكورة سابقًا، بالقول: **﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾**.

3 **إيتاء الزكاة**، بنسبة من أرباحه، والصدقات، **﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا**

[1] (البقرة 185)

آَتَاهُ اللَّهُ﴾[1]، عَلَى **﴿ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾**[2]، تكافلا وتضامنًا بين المسلمين. ما يساهم، بالتالي، في حلّ مشكلة الفقر[3]، في المجتمعات الإسلامية.

4 **الحج**، مرة واحدة في العمر، إلى بيت الله الحرام، في مكة، لمن استطاع إليه سبيلا، في مؤتمر عامٍّ للمسلمين لأيام معدودات، يؤدّون فيها الصلوات والمشاعر، تشبهًا بما فعل الرسول ﷺ، ويستمعون إلى محاضرات ومواعظ تفقهًا في الدين وفي السلوك والأخلاق والتعامل بين البشر. **﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾**[4].

ومن سماحة الإسلام أيضًا، أنّ من لا يتمكن من القيام ببعض مشاعر الحج أو العُمرة، ففدية ذلك، صيامٌ أو صدقة أو نسك، كما في قوله ﷻ: **﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ**

---

[1] (الطلاق 7)
[2] (البقرة 177).
[3] راجع ص 159 من كتابي – الاقتصاد في القرآن- الطبعة الأولى – 2007 – بيروت – لبنان.
[4] (البقرة 197)

نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (البقرة 196).

5 - **الجهاد في سبيل الله**، فإن كان الجهاد بالقتال، قد انتهى مع وفاة النبيّ ﷺ، فجهاد النفس وجهاد المال، دائمان. والجهاد عامة، أراه في «كلّ ما يقوم به المسلم، بماله أو بنفسه، قولًا أو كتابةً أو عملًا، في سبيل إعلاء دين الإسلام، وطائعًا الله ﷻ، في كلّ ما أمره به في القرآن الكريم، وبالصدق والسلوك الحسن والأخلاق الحميدة»[1].

- **فجهاد النفس**: أراه في أن يجْهَد المسلم ليكون مسلمًا حقًّا وبكلِّ ما للكلمة من معنًى، حسب تعاليم دينه بحذافيرها، كما جاءت في القرآن الكريم، لا بإداء الفرائضِ فقط، بل والأهم، بالعمل الصالح، وبالسلوك القويم والأخلاق الحميدة والأمانة وإتقان العمل، صادقًا مع نفسه وفي تعامله مع الآخرين، مسلمين كانوا أم غير مسلمين، كما أمره الله ﷻ، ومن دون تعقيدٍ أو

[1] لمن يرغب في التوسع في هذا الموضوع، فليرجع إلى كتابي: (الجهاد في القرآن الكريم – لا قتال بعد وفاة النبي) – الدار العربية للعلوم ناشرون – بيروت – 2018.

تزمّتٍ أو مغالاةٍ أو تعصّبٍ. بامتناعه عما حرّمه الله ﷻ، أو نهى عنه. فلو تقيد المسلمون، يا عبد الله، بهذا السلوك لرأينا المجتمعات الإسلامية صالحةً، آمنة، خاليةً من أيّ نوع من أنواع الفساد البشري. أمّا في المجتمعات المختلطة فسيصبح هذا المسلم مِثالَ الإنسان القويم والمواطِن الصالح، يثيرُ إعجاب غير المسلم، الذي قد يوصله، هذا الإعجاب، ليس إلى التشبه بذاك المسلم فقط، بل أيضًا إلى اعتناقِ دينه. وهكذا يكون هذا المسلم قد ساهم في إعلاء كلمة الله التي هي دين الإسلام. وهذا في رأيي هو الجهاد الحقّ والأكبر والأرقى والأسمى المطلوب من المسلمين عامةً.

- **وجهاد المال**، واجبٌ على المقتدرين كلٌّ حسب إمكاناته، **﴿لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾**[1]. وأراه في استثمار الأموال لإيجاد فرص العمل، وفي الصدقات لمساعدة المحتاجين، ودعم أولئك المجاهدين بأعمالهم، عنيت، كلّ من كان عمله أو قوله جهادًا، وبخاصة من العلماء والمثقفين، كمن يحتاج منهم إلى المال لإتمام عملٍ فيه النفع العام، كتأسيس المدارس ونشر الكتب القيمة والأعمال الفنية الصالحة، وغيرها. ولا ننسى أن الإنفاق في سبيل الله، واجبٌ على المسلمين، كما أنّ الله ﷻ، سيجزيهم عليه كما في قوله ﷻ: **﴿مَّثَلُ الَّذِينَ**

[1] (البقرة 286)

يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

ولكنّي أفهم من مضمون آيات القرآن الكريم، أنّ القيام بهذه الواجبات بحذافيرها، لن يكسبه الأجر، إن لم يمتنع المؤمن عن المحرمات والنواهي، ويلتزم بالسلوك الحسن، وبالأخلاق الحميدة، وبحسن التعامل مع الآخرين.

ومن تعاليم الإسلام أيضًا، أنه حرّمَ على المؤمنين، من الأطعمة والأشربة، كلّ ما قد يسببُ الضرر بالأجساد، أو بصفاء العقول. ولكن مع السماح بها في الضرورات، كالمجاعات، في قوله: **﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**[2].

هذا بالإضافة إلى **تحريمه الفواحش**، ما ظهر منها وما بطن، كالزنى والقتل والكذب والميسر، وكل ما فيه أذًى أو ضررٌ على الفرد أو المجتمع...

ومن النصوص المهمّة الخاصة بالمرأة، التي احتواها القرآن الكريم، تلك التي جعلت للمرأة المسلمة كيانًا واحترامًا وحقوقًا لم تحصل عليها غيرها من النساء، سوى منذ حقبة وجيزة من

---

[1] (البقرة 261)
[2] (الأنعام 3)

الزمن إذا ما قيست بما يزيد عن أربعة عشر قرنًا، عمر دين الإسلام حتى اليوم.

وبالإضافة إلى ذلك، فقد وضع الإسلام قواعد لآداب السلوك، تنطلق كلها من مبدأ احترام الآخرين وحقوقهم وحرياتهم وحُرُماتِهم ومراعاة شعورهم وعدم إزعاجهم أو أذيتهم بأي شكل من الأشكال.
وتأكيدًا على وحدة العائلة وتماسكها، وبالتالي المحافظة على وحدة المجتمع وترابط أبنائه، أمرنا ديننا بصلة الرحم، وحسن الجوار، وصدق اللسان، وحسن التعامل بين بني البشر، من دون تمييز، في العرق والدين.

كذلك نقرأ في القرآن الكريم، أسسًا لقوانين مدنية يمكن اعتمادها في جميع الأزمنة والأمكنة، أخصّ منها قانون الأحوال الشخصية، أي الزواج والطلاق والورث والوصية، وقانون العقوبات، وما يضمن حرية المعتقد، **﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾**[1]. ومن دون الإكراه في الدين، كما قوله تعالى، لنبيّه الكريم: **﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾**[2]. وتخبرنا كتب التاريخ، أن حكّام دولة الخلافة الإسلامية، بشقيها العربي والعثماني، والتي لامست حدودها الصين شرقًا والمحيط

[1] (الكهف 29).
[2] (يونس 99).

الأطلسي غربًا، لم يفرض أيُّ منهم على سكان أيٍّ من البلاد التي حكموها على مدى ما يزيد عن الألف عام، اعتناق دين الإسلام، بأي وسيلة كانت. كذلك فعل حكّام دولة الأندلس العربية التي دامت في جزيرة إبيريا ثمانية قرون.
ولا ننسى استعانة أولئك الحكام، بالعديد من الخبراء، غير المسلمين، وبخاصة في: الإدارة المالية (الدواوين)، والترجمة والعلوم، والطب، والهندسة العسكرية.
كما أنّ معظم مترجمي أعمال الفلاسفة وغيرهم لم يكونوا مسلمي الديانة، نذكر منهم، حنين بن إسحق، الذي ترجم أعمال جالينوس وأبقراط وأرسطو، وقد عينه الخليفة المأمون مسؤولا عن بيت الحكمة، وولده إسحق بن حنين، وحبيش الأعسم أو حبيش بن الأعسم (هو حبيش بن الحسن الدمشقي) وهو ابن أخت حنين بن إسحق، وثابت بن قرة الحراني، ويوحنا بن البطريق، وقسطا بن لوقا البعلبكي.

ومن القانون الطبيعي، بأن الحضارات والعلوم سلسلة مترابطة لا انفصال بينها، إذ إنّ كلًّا منها تنطلق مما وصلها من سابقاتها، فكان أن طوّر المسلمون ما وصل إليهم من النظريات الفلسفية والعلوم، ليصبح لهم فلاسفتهم، أمثال ابن سينا، والفارابي، وابن رشد، وابن خلدون، والغزالي؛ وعلماؤهم في الطبِّ كابن النفيس وابن سينا، وفي الرياضيات، كالخوارزمي، مخترع الصِّفْر، وفي الفلك والهندسة والحساب، الفيزياء والبصريات، كأبي الوفاء البوزجاني. والسبحة تطول.

وباختصار، فقد كان للحضارة العربية في المشرق، وفي الأندلس بخاصة، دورٌ عظيمٌ في انطلاقة الحضارة الأوروبية، وتطوير العلوم. إذ كان أبناء الأوروبيين يتلقون العلم في جامعات الأندلس.

وإلى جانب العلوم، فقد أخذت أوروبا، في تنظيم جامعاتها، عن الأندلسيين:

1. فكرة الشهادة الأكاديمية وتدرج الدرجات.
2. نظام الكليات والتخصصات.
3. المناهج العلمية في الطب، والفلك، والرياضيات، والفلسفة.
4. تنظيم المكتبات الجامعية.
5. بعض الطقوس الأكاديمية وطرق التدريس والمناظرة.

ويمكنني القول، بأنه لولا العرب المسلمون، لما عرف الغرب، الفلسفة اليونانية وأرسطو وسقراط وأفلاطون وتعاليم أبقراط والطبّ والرياضيات، كالجبر والهندسة والخوارزميات Logarithms، حتى الأرقام التي يعتمدونها، نراهم يعترفون بأنها عربية، وصلت إليهم عن طريق العرب المسلمين.

كما وضع القرآن الكريم أسسًا للقضاء تدريجيًا على الرق من دون أن يُحدِث ذلك أية أزمة اقتصادية أو اجتماعية، بالعتق

فدية أو كفارة وبالمكاتبة[1]، وأسسًا لمعالجة مشكلة الفقر[2]، وأخرى لتوزيع الثروة[3].

فالإسلام بالتالي، دينٌ ودنيا، فإلى جانب مناسك العبادة، فجوهرُ تعاليمه، حِفظُ الإنسان ومصالح معيشته، ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾ (القصص 77).

وتأكيدًا على وحدة العائلة وتماسكها والحفاظ عليها، وبالتالي المحافظة على وحدة المجتمع وروابطه، فقد أمرنا ديننا بِصِلَة الرَّحِم، وحُسنِ الجوار، وصِدق اللسان.

ولا بد، في النهاية، من أن نضيف، بأنّ ديننا الحنيف، يا عبد الله، هو: **دين اليسر**، فبالإضافة إلى ما ذكرناه سابقًا، ما تؤكده، لنا الآيات التاليات:

- ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**﴾[4]،
- ﴿**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**﴾[5]،

---

[1] راجع ص 166 من كتابي – الاقتصاد في القرآن- الطبعة الأولى – 2007 – بيروت – لبنان.
[2] راجع ص 159 من المرجع السابق.
[3] راجع ص 165 من المرجع السابق.
[4] (البقرة 185).
[5] (البقرة 286).

- ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[1].

هذا وأتمنى، يا عبد الله، أن أكون قد وُفِقتُ في الجواب على تساؤلك، عما بيّنتْهُ آياتُ القرآن الكريم، كي يكون الشخص مسلمًا مؤمنًا، كما يُرضِي الله ﷻ.

وفي الختام أقول: إن كنتُ قد أصبتُ فمن نِعم الله ورضاه، ﷻ، وإن كنت قد أخطأت فأرجوه المغفرة والرحمة، وهو الغفور وأرحم الراحمين.

[1] (الحج 78).

المراجع

- القرآن الكريم
- دليل الموضوعات في آيات القرآن الكريم – أسامة كامل أبو شقرا – بيروت - 2001.
- الاقتصاد في القرآن - أسامة كامل أبو شقرا – بيروت – 2007.
- صفوة أحاديث الرسول ﷺ - أسامة كامل أبو شقرا – بيروت – 2024.
- معاجم اللغة العربية (لسان العرب – القاموس المحيط - الصحاح الجوهري

انتهى، بعون الله في

شهر آب 2025 / صفر 1447

«كيف أكون مسلمًا؟»

ما خطر ببالي يومًا، أن يُقدم الصديق الباحث «أسامة أبو شقرا»، التنويري الإسلامي الموسوعي، المؤمن بكل جوارحه، على طرح مثل هذه المسألة المدماكية، المتعلّقة بالبنية الأساسية، التي ارتفع عليها الدين الإسلامي، بعد أن خاض غمار القضايا المتعمقّة في شؤون الإسلام، وعالج أبعادها الإيمانية الواسعة، ولم يترك منها شاردة أو واردة، بهدف تنقية هذا الدين، مما داخله من شوائب وتشوّهات، ومسحِ ما أُلصق بجوهره من زيف وتقوّلات وتخرّصات، وعمّر المكتبة الإسلامية بمؤلفاته البحثية الشاملة، من «دليل الموضوعات، إلى المسيح في القرآن، إلى الاقتصاد في القرآن»، ومن دون أن يتردّد باقتحامه الجريء، لطرح أبرز المسائل المثيرة للجدل والنقاش، في كتبه «الجهاد في القرآن، وحوار شيخين في الإسلام، وأحاديث الرسول ﷺ بين الصحيح والمنحول، وصفوة أحاديث الرسول ﷺ»، إضافة إلى سائر كتبه التاريخية والأدبية والقصصية، التي لم تبتعد ولم تخلُ في أي سطر من سطورها، من منهاجه الإرشادي التوعوي، الهادئ والموضوعي، الهادف أولًا وأخيرًا، إلى إشاعة روح السلام النفسي والاجتماعي.

د. علي منير حرب